جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



التعليم العربي الحر بالجزائر وعلاقته بقانون 8 مارس 1938م ـ الخلفيات والتداعيات ـ

مذكرة لنيل متطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

حنان قدودة

وسيلة قدة

الأستاذ المشرف:

د/ رضوان شافو

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د/محمد عبد الرؤوف ثامر	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي
د/رضوان شافو	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ/ الإمام بريك	عضوا ومناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

السنة الجامعية 1437-1438هـ/2016-2017م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ

لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾

آل عمران: ١٣٧ - ١٣٩

صدق الله العظيم.

الإهداء

إلى من أضاء لي شموع دربي بأنامل أصابعهم، وسهروا شوقا لإعدادات نجاحي، ورفعوا أكف أيديهم تضرعا لله سبحانه وتعالى بالدعوات لي بالتوفيق والسداد، إلى والديا الأعزاء أطال الله في عمرهما، كما أخص بهذا الإهداء إلى كل من أرادوا إسعادي وفرحوا لفرحي، وابتهجوا لإبتهاجي، وحرصوا على تحقيق مرادي، هم أشقائي وشقيقاتي،وإلى زملائي وزميلاتي الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي، كما أقدم باقة من الإهداء المورد إلى سندي ورفيق حياتي زوجي الكريم عبيد حمزة.

وإلى من وهبها لنا الله، وأكرمنا بها بعد ثمان سنوات ، التي أضاءت بيتنا ولألأت أسقفه بأطياف السعادة، وعطرته بعبق الريحان ابنتي وقرة عيني إكرام.

وسيلة قدة.

الإهـــداء

الذي هدنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى: عصب البيت وقلبه النابض، إلى من يكافح من أجلي ويمدني بعطائه، إلى من أسعى لتحقيق حلمه ومثلي الأعلى أبي الغالي" قدودة مختار" إلى نور عيني ومفتاح سروري إلى من عطفها دواء وعيشها شفاء أمي" نصيرة" كانت بلسم الروح ومنبع الحنان وحقق القلب بحبها إلى من أطلب لها الرحمة والغفران وأن يسكنها الله فسيح جنانه جدتي الغالية "مائسه" إلى روح عمي الطاهرة"محمد الصغير"، إلى مصباح البيت ونوره أخي الغالي" لطفي" إلى من كانت داعمة لي دائما طوال مساري الدراسي عمتي العزيزة "دزيرية"، وابنتها "مريم"، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل المشرف "رضوان شافو"، الذي كان ناصحا ومرشدا لنا نتقدم له بكل العرفان والتقدير، إلى رفيقة الدرب إلى من كانت نورا يضيء لي طريقي وغرست الابتهاج والتفاؤل في قلبي، وكانت دائما عونا وسندا لي صديقتي الغالية "قده وسيلة" إلى من جمعتني بهم الأقدار عبر طيات الحياة وفترة الدراسة صديقاتي يمينه، نبيله، صافية، حنان، إلى أخوالي وخالتي وأعمامي وعماتي، إلى بسمة البراءة وزهرة الأقحوان الكتكوتة: إكرام

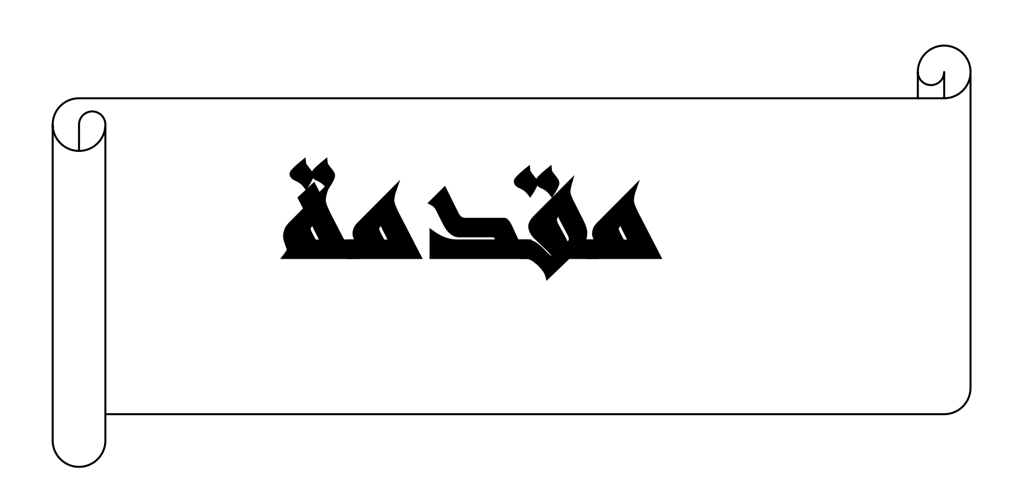
شكر و عرفان

بعدما كان الكد والجد يلون أطياف عملنا الذي ما اكتمل إلا بفضل من الله وقدرته أولا ثم جهود الحارصين على مساعدتنا .

فالحمد والشكر لله على توفيقه لنا في الوصول إلى هذا الحد من مسارنا الدراسي، وبفضله بعث لنا أشخاص سعدنا بمعرفتهم وبوقوفهم معنا، حيث نخص فائق الشكر والتقدير للدكتور رضوان شافو الذي لم يبخل علينا بنصائحه الدائمة، و مدنا بكل المساعدات، وكما نشكر الأخت تسنيم مكاوي التي سهرت معنا في تأطير البحث وعملت بكل عزم وثقه، دون كلل أو ملل.

قائمة الرموز والمختصرات

الرموز والمختصرات	المعنى
ط	طبعة
ع	عدد
ج	جزء
ص	صفحة
مج	مجلد
دت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
تر	ترجمة
p	صفحة


مقدمة

تعتبر اللغة العربية هي الركن الثاني، من أركان الشخصية الجزائرية، والرباط الوثيق الذي يربط الشعب بدينه، وتاريخه، وحضارته، التي ما لبث الاستعمار الفرنسي في الجزائر و إدعى بأنه جاء لتشييد تلك الحضارة، لكن هذه الإدعاءات سرعان ما إنكشف كيدها أمام أعين الناس، وما زاد من فضحها عندما فرض العدو الفرنسي لاعتبارات تربوية وطنية، لمنع الأهالي من ممارسة التعليم وربطه بأسلاك الفرنسة الشائكة، في وطن ولد من رحم العروبة وعاش في مهد الإسلام، لذلك شنت فرنسا حمالاتها الصليبية ضد هذا المولود العربي الأصيل، خاصة عندما أراد أن يترعرع في مدرسة التعليم العربي الحر، وأن يمارسه بطريقة ميدانية، و إستراتجية في النضال، من أجل خلق تحرر فكري، وهرم معرفي مشبع بأنوار الثقافة العربية، فكان هذا من أبسط حق من حقوق الجزائريين في وطنهم الأم.

لكن فرنسا استغلت لهيب العنصرية وسط المسلمين الجزائريين، وأطلقت وابل من القرارات والشروط التي تعوق التعليم العربي، ورمت بشراراتها هذه في كامل أنحاء الوطن وشكلت لذلك هيئات عدائية، تقوم بملاحقة كل من يدرس اللغة العربية ومدرسيها، فما أرادت من ذلك إلا أن تكسي هذا الشعب برداء الجهل والأمية، والتخلف، وسعت على تدنيس مقوماته، بديانتها المسيحية، التي أنكرها وبغضها ولم يتحمل وجودها، لذلك بدأ نشاط التعليم العربي الحر قبل الحرب العالمية الأولى، كرد فعل على محاربة المقومات، الشخصية الوطنية، وقد نشط فعليا بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سنة 1931م.

دواعي اختيار الموضوع:

أما دواعي اختيار هذا الموضوع تتمثل في:

الرغبة في التطلع على الواقع التعليمي في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية.

ومعرفة تاريخ ارتباط الجزائريين بلغتهم العربية وكيفية تنشئتهم على مبادئ القرآن الكريم من خلالها في الفترة المعاصرة.

ولكشف الحقيقة الفظيعة لظلم الإدارة الفرنسية وتسليطها على الدين واللغة، والتعريف بالمدافعين عليها.

الإشكالية: تبعا على ما تقدم قوله سلفاً، فقد جاءت اشكاليتنا على النحو التالي:

كيف كان واقع التعليم العربي في الجزائر منذ الاحتلال؟، وما هي دوافع الاستعمار الفرنسي من فرضه كقوانين جائرة ضد هذا التعليم في الجزائر؟، وما مدى تأثيرات قانون 8مارس 1938م على المجتمع الجزائري؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية، يتطلب طرح التساؤلات التالية:

_ كيف كانت البدايات الأولى للأطوار التعليمية؟

_ ومن كان منشطها والراعي الرسمي لها؟

_ وما طبيعة الدروس المقدمة وكيفية تنظيمها؟

_ ولماذا قامت الإدارة الفرنسية بإصدار قانون 8 مارس 1938؟

_ و ما هو مضمونه وتعليماته؟

_ وما مدى إنعكساته وتداعياته على الشعب الجزائري؟

_ وما هي ردود الفعل الوطنية حول هذا القانون؟.

مناهج الدراسة:

فلقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على **المنهج الوصفي والتاريخي** ، وذلك في وصف مختلف الأحداث، والوقائع التاريخية، التي لها علاقة بمضمون الدراسة، خاصة في تتبع مراحل صدور قانون 8 مارس 1938م، ومختلف انعكاساته على المجتمع الجزائري كما اعتمدنا على **المنهج الإحصائي** ، وذلك في تسجيل بعض الأرقام والنسب للتلاميذ والأقسام في مختلف الأطوار التعليمية، والمقارنة بينها.

الدراسات السابقة:

ومن أهم المصادر والمراجع التي أثرينا بها بحثنا (مجلة البصائر) كمصدر عايش الظروف التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كتاب (عبد الرشد زروقة)، جهاد عبد الحميد ابن باديس ضد الاستعمار تناولنا من خلاله منهاج التعليم، (تركي رابح)، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الذي فصل لنا مبادئ القومية الجزائرية ، (أبو القاسم سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، تاريخ جمعية العلماء الجزائريين، (مازن مطبقاتي)، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي الذي تناول نشاط عبد الحميد ابن باديس من ناحية النشاط التعليمي والنشاط السياسي ، ومن أهم الرسائل الجامعية التي استخدمناها في هذا العمل، رابح دّبي السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء الجزائريين في الرد عليها(1830_1962م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم التربية، ومذكرة مخلوفي جمال، التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة (1930_1956م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

خطة الدراسة:

وكانت خطة دراستنا لموضوع **التعليم العربي الحر بالجزائر وعلاقته بقانون 8 مارس 1938م _ الخلفيات والتداعيات _** ، متكونة من مقدمة تمهيدية للتعريف بالموضوع، ومدخل الذي تناول أوضاع التعليم قبل ظهور جمعية العلماء ، وثلاث فصول، حيث الفصل الأول كان بعنوان التعليم العربي الحر في مدارس جمعية العلماء واندرج تحته مبحثين، فالمبحث الأول درسنا النشأة والتطور، والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى مناهج وطرق التدريس، أما الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان

قانون 8مارس 1938م، (الدوافع والأهداف)، واندرج تحته أيضا مبحثين، حيث المبحث الأول، تناولنا فيه الظروف والدوافع، والمبحث الثاني، تطرقنا إلى المضمون والأهداف، كما قمنا في الفصل الثالث بدراسة تداعيات القانون على التعليم العربي الحر، وتضمن لذلك ثلاثة مباحث، حيث المبحث الأول، تداعيات على النخبة السياسية، والمبحث الثاني التداعيات على حركية التعليم، المبحث الثالث موقف الحركة الوطنية لمواجهة تداعيات القانون، وختمنا دراسة بحثنا بخلاصة ملمة للأهم النتائج المتحصل عليها.

الصعوبات:

أما الصعوبات التي واجهتنا تمثلت في تقيدنا بفترة محدودة، حيث ارتبطت بصدور قانون 8 مارس 1938م، كما واجهنا افتقار المادة العلمية للوثيقة الرسمية لهذا القانون، مع وجود بعض العوائق الاجتماعية مثل صعوبة التنقل إلى مكتبات خارج الولاية وذلك نظرا للظروف العائلية، وبعض الأسباب الصحية، وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل، وكما نعتذر على كل نقص بدر منا، أو خطاء كان في ثنايا هذا البحث.

مدخل

يعد التعليم القرآني الأكثر انتشارا في كامل أنحاء القطر الجزائري، خلال القرن التاسع عشر من الميلاد، حيث كتبت معظم التقارير الفرنسية، على أن الاستعمار الفرنسي إندهش بوجود واقع تعليمي مزدهر في الجزائر سنة 1830م، فكان التعليم ذو طابع عربي إسلامي حر والمعلمين أحرارا أيضا، [1] له منشآت تعليمية مخصصة لحفظ كتاب الله بدرجة أولى، وكأسلوب ووسيلة للمحافظة على المقومات الشخصية الجزائرية، لا تكاد تخلو أي مدينة أو قرية لا يوجد فيها مدرسة أو مسجد أو زاوية أو كُتابْ لتعليم القراءة والكتابة والعلوم الدينية، والتاريخ وغيرها من المواد [2]، لذلك نجد الزوايا، التي كانت عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال، تحتوي على دُورْ للصلاة كالمساجد، لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية والإسلامية ، ورجال الدين هم مؤسسيها[3].

ولقد حاولت بعض الزوايا منذ الستينات ، أن تربط بين حفظ القرآن و برنامج التعليم فكان التلاميذ فيها ينتقلون من الابتدائي القرآني إلى المتوسط إلى الثانوي، والمتخرجون منها يدخلون أحيانا إحدى المدارس الشرعية الرسمية قبل 1876م[4] ، أما الكتاتيب كانت مركزا لتحفيظ القرآن، الكريم وتعليم اللغة العربية الناشئة، فتمركزت بكثرة في البلاد وتواجدت داخل كل النواحي، حيث كان عدد المتعلمين في كل الكتاب يتراوح ما بين عشرة إلى عشرين تلميذ أو أكثر، وكانت بشكل مكثف أثناء الاحتلال [5]، وفي إحصائيات نشرت سنة 1851م، تشير إلى أن المدارس القرآنية في الريف، بلغت 851 مدرسة تعليمة، وهذا بجهود المواطنين الذين لهم الفضل في ذلك لأن الدولة الفرنسية لم تفعل شيئا [6]، بل قامت بمصادرة أملاك الأوقاف الإسلامية على المؤسسات الدينية والتربوية منذ 1830م، وقامت بغلقها، ومنعت التدريس بكتب

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،(**1830_1954**) ،دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 ،ج3 ،1998م ص 22.

[2] محمد بن شوش، **التعليم في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي(1830م_1870م)**،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،بإشراف الدكتور بن يوسف تلمساني،جامعة يوسف بن خدة،الجزائر ،قسم التاريخ،2007_2008م،ص5.

[3] نعيمة عباسي، نورة ديبي، سعاد غريسي، **التعليم العربي في الجزائر في مواجهة الإدارة الاستعمارية(1930-1962)**، إشراف عثمان زقب، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس، كلية العلوم الاجتماعية ولإنسانية، قسم العلوم الإنسانية(2014-2013)، ص 66.

[4] سعد الله، المرجع السابق، ص 36.

[5] تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية، (1931-1956)**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م ، ص 27.

[6] سعد الله، المرجع السابق، ص 36.

اللغة العربية و آدابها والدين الإسلامي، وحرمت الشعب من ممارسة عقيدته وشريعته وأخلاقه وثقافته، وفي مقابل ذلك عملت على بثْ الثقافة والديانة المسيحية [1]، وهذا ما عبر عنه الكردينال"لافيجري[2] Lafijri" حين قال: « علينا أن نخلص هذا الشعب، ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي نشأ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر».[3]

وتدعم ذلك بصدور مرسوم رئاسي في 14 جويلية 1850 م، الذي يقضي بإنشاء مدرسة لنشر الفرنسية وتعليمها في الأوساط الجزائرية، سعيا منه لتحقيق أهدافه التنصيرية وحملاته الإدماجية ونشر إدعاءاته بأن التعليم التقليدي قد توقف، نظرا لظروف الحرب حسب رأي المستعمر الفرنسي [4].

كما قامت السلطات الفرنسية، بتكوين مدارس التعليم المتبادل، وفرض عدة قوانين وفرضوا لغتهم في كامل رسائل التعامل والتخاطب، خاصة في المدن، ونجت منها الأرياف [5] كما فرضت عدة قوانين وقرارات، قمعية بهدف إحكام القبضة على الجزائريين، و لحصار التعليم العربي الإسلامي،[6] وتدعيم التعليم الفرنسي، ومن أهمها :

-قانون 18 يناير 1881م، الخاص بتنظيم التعليم العام.

_ قانون 18أكتوبر1892م، الخاص بتنظيم التعليم الابتدائي وإنبثاق مواده، التي تنص على التعليم الفرنسي بكل أشكاله[7]، فأصبح شعار المدرسة الأهلية تعليم من أجل التطبيق[8].

---

[1] بهاء قيطوبي، خديجة عوين، عبلة زغب، **الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر فترة مابين الحربين(1939-1919)**،إشراف محمد السعيد عقيب، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس تاريخ،معهد العلوم الاجتماعية ولإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الوادي2013/2014، ص 21.

[2] الكردينال لافيجري هو الذي تحصل على اللون الأخضر من الإمبراطورية الثالثة ،لنشاط في التبشير وفتح الملاجئ، حيث تولى أمرآلاف يتيم، أنظر إلى تركي رابح، المرجع السابق،ص ص 46، 47.

3 بسام العسلي، **عبد الحميد إبن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، دار النفائس للنشر والتوزيع 1983، ص 45.

4 بن شوش،المرجع السابق،ص47.

5 محمد بهى الدين سالم، **ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير**، ط1، دار الشروق،1999م، ص 26.

6 رابح لونيسي،وآخرون **تاريخ الجزائر المعاصر**،دار المعرفة،الجزائر،ج1،2010م،ص85.

7 قيطوبي، عوين، زغب، المرجع السابق،ص22.

8CHarle - robert A geron, **les Algerien muslman et la france (1871;1919)**,Paris 2tom ,1968 p925

ومع بداية القرن العشرين أدرك الجزائريون وعلى رأسهم النخبة المثقفة أهمية التعليم وبدأت آثار علماء الجزائر تؤتي أكلها [1]، فنشطت حركة بناء المدارس ببرنامجها الفرنسي البحت [2] ،كما أحدث الحاكم العام " جونار jonar" [3] إصلاحات في مجال التعليم سنة 1907م، لحل المشاكل السائدة، رغم التعصب العنيد من المستوطنين الذين ما كانوا ينوون أن يقبلوا سواء تعليم مهني أو زراعي عملي، وعندما إضطر إلى ترك منصبه لأنه عارض تحويل المدارس إلى مدارس ملحقة، سميت (مدارس ملاجئ)، وفي عام 1914م قامت الإدارة الفرنسية ببناء بعض المدارس والأقسام، ولكن عكس ما خطط له.

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت المدرسة أحد المطالب الرئيسية للمسلمين المتطورين[4] .

---

[1] مصطفى لمين لعويد، **الدور الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء الجزائريين بواد سوف و وادي ريغ**، ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، بإشراف موسى بن موسى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ2015/2016، ص 27.

[2] أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية،دط،2001 م ، ص 141.

[3] شارل جونار ،حاكم الجزائر لثلاث مرات ،(1900_1901م)،الثاني (1903_1911) ،الثالث (1911_1918) ، واستقال بسبب حملات المستوطنين ضده حتى أنهم لقبوه بجونار العربي ، انظر رابح لونيسي المرجع السابق ص 87

[4] شارل روبير أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**،تر:عيسى عصفور ،منشورات عويدات، بيروت_باريس،ط1، 1982م، ص ص 113،114.

الفصل الأول: التعليم العربي الحر في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول:النشأة والتطور

المبحث الثاني:مناهج وطرق التدريس

اعتبر المؤرخون أن التعليم العربي الحر في الجزائر ، ظهر فعليا بعد الحرب العالمية الأولى، حيث كان الوسط الثقافي يشهد نوع من الدفع والتحرك ، لمواجهة ظروف السيطرة الاستعمارية الفرنسية اتجاه التعليم العربي، فعملت على خلق الحركة الإصلاحية بكل مكونتها و ممثليها، في إيطار مسمى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على يد قائدها عبد الحميد ابن باديس ورفقائه.

المبحث الأول : النشأة والتطور:

أولا: التعليم العربي الحر : هو التعليم الذي يجري باللغة العربية في مدارس تابعة لأفراد أو منظمات شعبية ويقوم بها الشعب تأسيسا وتمويلا، ولا يخضع لإدارة الاحتلال [1]، ويتميز التعليم العربي الحر بأنه تعليم ذو طابع ديني ولغوي في الغالب مع شيء من التاريخ والجغرافيا والعلوم والرياضيات[2]، ونشأ في الجزائر قبيل الحرب العالمية الأولى كرد فعل على محاربة المستعمر لمقومات الشخصية الوطنية، و نشط أكثر بعد تأسس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م. [3]

ويعتبر أبن باديس [4] من واضعي هذا التعليم الحر المنظم في الجزائر وكان يتخذ من الجامع الأخضر [5] بقسنطينة مدرسة جامعة [6] ، وقد سمي بالحر لتفريقه عن التعليم الحكومي

---

[1] يوسف زغوان، **التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931- 1962)**، من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،في التاريخ الحديث والمعاصر ،بإشراف علي غنابزية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،شعبة التاريخ،2016/2015م، ص 26 .

[2] لعويد، ، المرجع السابق ص 39.

[3] تركي رابح ، المرجع السابق، ص 168.

[4] ابن باديس: هو عبد الحميد ابن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ولد سنة (1308 ه -1889م)،من أسرة عريقة النسب مشهورة بالعلم والثراء في قسنطينة ،تتلمذ على يد حمدان لونيسي فترة (1908،1903) بجامع الزيتونة في تونس ،بدا دعوته الصلاحية الدينية 1913 م انظر التعريف المفصل عند محمد بهى الدين سالم ،المرجع السابق ص ص 31 - 40.

[5] المسجد الأخضر: الذي بناه حسين باي عام 1156 هـ الموافق ل1743م وكتب في صدر المسجد انه بناه للعبادة والعلم ولقد سار بن باديس في هذا المسجد خطوات عظيمه حتى أصبح مدرسه لتكوين القادة انظر : مازن مطبقاتي ،العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م، ص ص 52 53.

[6] آثار عبد الحميد إبن باديس، **مطبوعات وزارة الشؤون الدينية**، ج 4، ص 126.

الذي يجري باللغة الفرنسية وحدها ويطلق على المعلم الذي يعمل في سلك التعليم العربي الحر مصطلح " معلم حر " ، كما نطلق مصطلح " نادي حر"، أو " مسجد حر"، على المؤسسات من هذا القبيل، التي يؤسسها الشعب لأغراض ثقافية ودينية، دون أي مساعدة من إدارة المحتل، لذلك يمثل التعليم العربي الحر بممارسته وتحركاته في الجزائر حلقة من حلقات الكفاح المرير الذي غاص في أعماق الأمة الجزائرية.[1]

ثانيا: ظهور الحركة الإصلاحية التعليمة:

تعززت الحركة الإصلاحية للثقافة الجزائرية بانتشار الجمعيات والنوادي مثل التوفيقة ونادي صالح باي، ونادي الترقي [2] الذي أنشأه مولود موهوب [3]، وأخذت دعوة الإصلاح تأخذ صدى في أوساط المثقفين الجزائريين، بالإضافة إلى حركة التعليم التي تبناها المصلحون بدعوتهم وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي [4]، وتطابقت دعوة الإصلاح والنهوض[5] مع قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[6]

---

[1] زغوان، المرجع السابق ص 28 .

[2] نادي الترقي ، **أسس في شهر جويلية 1927م من طرف أعيان مدينة الجزائر**، العاصمة ، لعب دور ثقافي وسياسي ، تابع للحركة ، الإصلاحية ، انظر ، توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص156.

3 بن موهوب ولد في قسنطينة سنة 1863م زاول تعليمه في مسقط رأسه واشتغل رسا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة عام 1895 وهو الذي قام بتشخيص وضعية التعليم لهذا السبب أعلن الحرب على الجهل انظر سعد الله ،المرجع السابق ،ص 175

4 الطيب العقبي هو من مواليد 1889م بسيدي عقبه ،هاجر إلى المدينة المنورة مع أسرته سنة م1895 نشا فيها وحفظ القران الكريم وتولى رئاسة جريدة القبلة وما أن رجع إلى الجزائر 4 مارس 1920م ثم اعتقلته السلطات الفرنسي هو تخوفا من ثورته ،كما تولى رئاسة البصائر مابين 1935الى سنة 1939م،انظر للعسلي المرجع السابق(دط)،ص ص 183،184.

[5] المدني، المرجع السابق، ص ص 43-44.

[6] هود،الآية 88.

وفي سنة 1924م، زار الشيخ عبد الحميد ابن باديس الشيخ الإبراهيمي [1] بسطيف وأخبره بأنه ينوي إنشاء جمعية العلماء، تحت اسم جمعية الإخاء العلمي، فأعجب الشيخ الإبراهيمي بالفكرة ، وأخذا يعدان لإنشائها، وقد عقبت هذه الفكرة ظهور صحيفة المنتقد [2] فتصدت لها الإدارة الفرنسية فعمل على إصدار جريدة الشهاب[3].

وترأس الشيخ اجتماع في مكتب إدارة الشهاب الذي حضره كل من الإبراهيمي و الميلي[4] و العقبي، والعربي التبسي، والشيخ الزاهري ومحمد خير الدين[5]، وأطلق عليه اجتماع اجتماع الرواد [6] ، ومع مواكبة المؤرخين لما خلصت إليه الحركة الإصلاحية خلال القرن العشرين من الميلاد، حدث انبهار كبير للتعليم العربي من جديد، حيث تميز بالعمق والشمولية والتنظيم والأهداف الواضحة والمتصدرة مطالب الحركة الوطنية[7] .

تأسست جمعية العلماء المسلمين رسميا يوم الخامس من مايو سنة 1931م بالعاصمة فكان عبد الحميد ابن باديس رئيسها، والإبراهيمي نائبا لرئيس الجمعية [8]، وقد ضمت 72

---

[1] الإبراهيمي ،ولد بقرية رأس الواد ،بناحية سطيف، في 14 يونيو 1889م ، في بيت أسس على التقوى وحفظ القران الكريم على يد عمه ،الشيخ المكي ،التحق بوالده إلى المدينة المنورة ،عام 1911م ،ودرس فيها على كبار علماءها وعاد إلى الجزائر سنة 1920م ،وله عدة آثار علمية وثقافيه ،توفي سنة 1965م ،انظر إلى كتاب أحمد طالب الابراهيمي،أثار الأمام محمد البشير الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،1997م،ط1،ج1،ص10،9.

[2] جريدة المنتقد هي التي أصدرها الشيخ بن باديس سنة 1926 م ومجموعه كبير من الجرائد التي أصدرتها جمعيه العلماء في ضل نشاطها الصحفي للتفصيل أكثر انظر إلى عبد الرشيد زروقة ، جهاد عبد الحميدابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913_1940)،دار الشهاب ،لبنان،ط1999،1م، ص 259 .

[3] الشهاب أصدرها الشيخ بن باديس سنة 1925 م وغلب عليها الطابع العلمي والتربوي وكانت صحيفة أسبوعية ثم تحولت إلى مجله شهريه بسبب نقص الموارد المالية انظر لمركز البحوث والدراسات المرجع السابق ص ص 142 143.

4 الميلي هو مبارك بن محمد الميلي ولد في قرية الميلية في مدينة ميلة سنة (1316هـ/1898م)، وأتم دراسته الابتدائية علي شيخه ومربيه محمد الميلي ثم انتقل إلى قسنطينة ليتتلمذ عند ابن باديس وفي ما بعد درس في الزيتونة لأربع سنوات فشكل بذلك جهازا للنهضة انظر ، العسلي ، المرجع السابق، ص ص 159،160

5 وهذه أهم الشخصيات الإصلاحية الاجتماعية في الجزائر.

[6] العسلي، المرجع السابق، ص 144.

[7] تركي رابح، المرجع السابق، ص 201-204.

[8] زوبير بن رحال، **الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)**، دار الهدى، الجزائر ص57.

عالما جزائريا، جاءوا من مختلف أنحاء القطر الجزائري [1] ، كما أشار القانون الأساسي، إلى نقطة مهمة وأساسية، لها مدلول حضاري ومغزى ثقافي بعيد وعميق [2] ومن منطلق شعار " الإسلام ديننا والجزائر وطننا والعربية لغتنا " القاعدة الأساسية لمقاومة الاتجاه الفرنسي وشاءت أقدار الله أن نجحت نجاحا منقطع النظير [3]، وانطلقت سياستها التعليمية من المدرسة المدرسة بأداة رئيسية لمحاربة الاستعمار لذلك اعتنت جمعية العلماء بهذه المسألة وبذلت فيها جهودا جبارة[4]. فكانت تشرف عليها نخبة من العلماء المثقفين ثقافة عربية، وقد حملت هذه الجمعية المباركة على عاتقها عبأ نهضة الإسلام وإحياء التراث الإسلامي ، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتواطئة مع الاستعمار، وتكوين إطارات مشبعة بالثقافة العربية الإسلامية[5] ،وركزت منذ تأسيسها على تثقيف أبناء الأمة بجميع فئاتهم صغارا أو كبارا، إناثا إناثا أو ذكورا، فشيدت المئات من المدارس الحرة للتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، فلقبت "بسفينة النجاة" للشعب العربي ،[6] وتمكنت من بعث العروبة والإسلام في كامل الوطن الوطن وبدأت في مواجهة البدع والضلالات ، وأسسوا حزباً وثيقاً ذو طابع ديني محض [7]، وهو ما عبر عنه شارل أجيرون بحرص الجمعية على إنشاء مدارس ابتدائية وبعض المدارس الدينية الحرة،التي تدرس فيها العلوم الحديثة باللغة العربية [8]، منذ سنة 1931 وضمنت ثلاثة عشرة عالما من بينهم مبارك الميلي وتوفيق المدني[9] .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930_1945)**،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ط4 ،ج3، 1992،ص83

2 عمار طالبي،**عبد الحميد ابن باديس،حياته وآثاره**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1983،2 ،ص115.

[3] المدني، المرجع السابق، ص 166-167.

[4] لعويد، المرجع السابق ص 77.

5 محمد الميلي،ابن باديس وعروبة الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط1980،2م،ص25.

6 فرحات عباس، ليل الإستعمار، تعريب بوبكر رحال، مطبعة المحمدية، قسنطينة، ص 25.

7 Ali Merad,**Le Refomisme Musulman en Algene De 1925 a 1940**, Essai d histoir religiense et sociale Mouton 2 co I mprimerie Firmin_ Didot_Paris 1967,P12.

8 أجيرون،المرجع السابق،ص142.

9 احمد توفيق المدني من مواليد (1317هـ-1899م)،سليل عائلتين من كبار المهاجرين المجاهدين الجزائريين ،ولد بالحضرة الجوائرية ، وتلقى علومه العربية بالجامع الكبير،ثم هاجر إلى تونس فدرس في كتاتيبها الأهلية ثم جامع الزيتونة سنة 1913م انظر ، بسام العسلي ،المرجع السابق ص ص 187_189.

ومن بين الشروط الأساسية للجمعية اعتبار اللغة العربية لغة دراسية بالمدارس الجزائرية ، لأن المصلح العربي الجزائري يستمد تأييده للعروبة، و من منابعها الأصلية إلتزاما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك قال الشيخ عبد الحميد بن باديس:"هذا هو رسول الإنسانية ورجل القومية العربية ،الذي نهتدي بهديه ونخدم القومية العربية خدمته، ونوجهها توجيهه، ونحيا لها ونموت عليها،وان جهل الجاهلون وخدع المخادعون واضطرب المضطربون"، وما هذه الصرخة إلا ردا على التطرف العرقي [1]، وفي وسط مشحون بتيار الإستعمار ، وخاصة احتفالاته احتفالاته المئوية للإحتلال ال جزائر، فوجهت الجمعية مجمل أهدافها في سطر واحد يرمي إلى تطهير الدين الإسلامي مما لحق به من خرافات وبدع في عصر التخلف الذي أصاب المسلمين لعدة قرون ، وإيقاظ شعلته الوهاجة في كل القلوب [2]، كما أصدرت الجمعية عدة صحف باللغة العربية لنشر أفكارها وتبليغ دعوتها للجزائريين، تحت ستار العمل الديني البحث ونشر التعليم والتهذيب [3] ، أما فيما يخص الوسائل التي اعتمدت عليها الجمعية لتبليغ رسائلها التعليمية، كانت المدارس، المساجد الصحف، وكما نجد أنها تركزت في منطقة الشرق الجزائري [4]،ومن أهم صحفها الأساسية المنتقد، والشهاب، والإصلاح، والبرق، وصدى الصحراء، والسنة والشريعة، والصراط والبصائر، أما التي استمرت لفترة طويلة الشهاب والبصائر [5].

إن بعث النهضة التعليمية لم يكن الهدف الوحيد فقط للجمعية بل كانت هناك اهتمامات اجتماعية وسياسية ، ففيما يخص المجال الأول اعتنت بالميادين المختلفة من حياة المجتمع واهتمت بالشباب كونهم قاعدة الإصلاح، فأنشأت النوادي الثقافية والفرق الكشفية لتربية الشباب تربية اجتماعية ووطنية ، وكانت تقدم المحاضرات العامة، والتمثيليات

1 بسام العسلي، المرجع السابق، ص 126.

2 تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 204.

3 عبد الرشيد زروقة، جهاد **عبد الحميد إبن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر(1931-1940)**، ط 1 ،دار الشهاب لبنان، 1999، ص 172.

4 الخطيب،المرجع السابق،ص104.

5 البصائر بدأت بالصدور في 27 ديسمبر 1935 م، انظر لمركز البحوث المرجع السابق ص 144.

والمهرجانات الثقافية، والدينية، بمناسبة الأعياد الإسلامية واهتمت بتعليم المرأة [1]، لأن بناء المستقبل يكون بتعليم البنين والبنات معا، وكانت البرامج التعليمية والكتب التي اعتمدها العلماء في مدارسهم تتسم بالتجديد ورفض الجمود والتقليد، حيث لم يقتصروا على الدعوة إلى التعليم الديني فقط واللغة العربية فحسب، بل نادوا بتعليم كل العلوم وجميع اللغات الحية.[2]

ثالثا: أنواع التعليم عند الجمعية:

كما اهتمت الجمعية بتعليم المرأة، حيث كان الجمود واقفا ومانعا من تعليمها في فترات قبل ذالك، فتمثل هذا الاهتمام بإخراجها من سجن الجهل إلى فضاء العلم في دائرة التربية الإسلامية، فأصبحن يشهدن دروسا خاصة بهن في الوعظ والإرشاد ويفهمن ما للمرأة وما عليها[3]، ومما يؤكد حرص الجمعية على تعليم المرأة، أن تعليمها كان مجانا سواء كن قادرات على دفع مصاريفه أم عاجزات عن دفعها، وذلك تشجيعا لهن على الإقبال على الدراسة [4] وكان مجيء التعليم العربي الحر، ليحل محل التعليم الفرنسي آنذاك، ويمكن تلخيص أهدافه التربوية في النقاط التالية:

_ إحداث التغيير الداخلي للفرد الجزائري وذلك بالتمسك بمقوماته الشخصية.

_ تأهيله، لتسلق الرقي الاقتصادي والاجتماعي شعوب والسياسي،وللوصول إلى مصاف الشعوب الراقية.[5]

وعرف التعليم لدى جمعية العلماء نوعين هما التعليم المسجدي والتعليم المكتبي.

1_ التعليم المسجدي : اعتمد على طريقة الوعظ والإرشاد وإقتداء بالسلف في تعليم القرآن الكريم وتفسيره وشرحه والسنة النبوية الصحيحة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، قصد الإقتداء بهم والاهتداء بهديهم مع التركيز على

---

[1] بن رحال ،المرجع السابق، ص 63.

[2] تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 217.

[3] بن رحال الإمام، المرجع المرجع السابق،ص 63.

[4] مازن مطبقاني، **عبد الحميد إبن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**، ط1، دار القلم، دمشق، 1992، ص 62.

[5] أسيا بلحسن رحوي، **وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي**،ع 7،ديسمبر 2011م،ص80.

ضرورة تبيين المعنى الصحيح للمتلقين من خلال الصور العلمية التطبيقية التي تقرب الفهم الأمثل، وفضلا عن كونه مكان للعبادة، كان المسجد أداة فعالة للتربية الهامة وتعليمها ومراكز للإشعاع الحضاري على مر العصور، لبعث فكرة الإطلاع وتوجيه المسلمين[1]، مما دفع بالشيخ عبد الحميد بن باديس،التفكير بضرورة فتح مدرسة لاستعاب أفواج الطلبة المتزايدة،فكوّن مدرسة ابتدائية، في بناية فوق المسجد كمرحلة أولى ثم نقلها بعد ذلك إلى مقر الجمعية الخيرية الإسلامية، التي تأسست 1917م، ولتتحول سنة 1930م في مرحلتها الأخيرة إلى مدرسة، باسم التربية والتعليم الإسلامية.[2]

وقد اتخذ عبد الحميد ابن باديس من الجامع الأخضر مقرا لدعوته ، ثم انتقل هذا المسجد إلى مدرسة عصرية كبيرة ،وتتسع أكبر عدد ممكن من الأطفال الراغبين في الدراسة العربية وعلومها، خاصة علم تفسير القرآن الكريم، و شرح الحديث الشريف، الفقه المالكي، العقيدة، التاريخ ، الآداب والعلوم الإسلامية، اللغة العربية وعلومها، النحو والصرف والبلاغة والبيان والآداب والعلوم العقلية في المنطق والحساب[3]، لذلك تمكن ابن باديس من تحويل المسجد الأخضر،من جامع مغمور إلى معهد كبير،يستقبل الطلبة من مختلف المناطق،وقد بلغ عددهم 300 خلال سنة 1936م.[4]

2 _التعليم المكتبي : ويقوم بتلقين اللغة العربية وقواعدها وتربية ملكة الذوق والاستنتاج في نفوس التلاميذ وإصلاح اللهجات التي عرفتها الجامعة، والتشجيع على التكلم بها أمام الناس وزيادة على ذلك في التعليم المكتبي كان تعليم الأميين من الكبار[5] .

---

[1] كوثر هاشم، **الحياة الاجتماعية في الجزائر من حلال عملية الشهاب الجزائرية(1927_1939م)**، إشراف جمال بلفردي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الوادي(2013-2014)،ص 61 .

[2] تركي رابح، **الشيخ عبد الحميد بن باديس،رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،ط4،1984م،ص354.

[3] بهى الدين سالم، المرجع السابق، ص 166.

4 ط_ مبروك، **الإستراتيجية التعليمية والتربوية عند ابن باديس**،ع20،يونيو ،2012م،ص3.

5 محمد البشير الإبراهيمي، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها الخامس بنادي الترقي الجزائر**، دار الكتاب الجزائر،1981، ص 64.

بالإضافة إلى ضرورة تطوير طرق التعليم التي كانت تقتصر على الحفظ والاستظهار لمتون اللغة والدين، ودون التفقه فيها وصقلها بالآداب [1]، والسعي على أن يكون في الجزائر وسطا مثقفا لسانا وفكرا ووعيا بالثقافة الإسلامية العربية[2].

حيث قدرت عدد المدارس التي أسستها الجمعية عام 1935م بسبعين مدرسة تعليمية في أنحاء الجزائر، وقُدّر عدد التلاميذ بحوالي ثلاثين ألف تلميذ، ما بين فتاً وفتاة [3]، حيث أن مع بداية الثلاثينيات لم يكن بالقطا ع القسنطيني سواء ثانويتان ومدرستان لتعليم العالي، وهي لتخريج الأساتذة، بالإضافة إلى مدارس خاصة ومدرسة التعليم التقني، وأخرى لتكوين المهني وكانت نسبة الطلبة المسلمين، لم يتجاوز عددهم 1000تلميذ، إلا أن هذا النوع من المدارس ساهم في تكوين الطلاب تكوينا فعلا، يساعدهم على الرقي للسلم الاجتماعي ويؤهلهم في المساهمة على التنمية الاجتماعية والاقتصادية الذين دخلوا الجامعات وتحصلوا منها على شهادات مختلفة[4] للبلاد، فقد شكلت جملة من المثقفين.

حيث اعتمدت الجمعية في مداخلها المالية في الحركة التعليمية، على ما يدفعه أولياء التلاميذ مقابل دراسة أبنائهم وإيرادات النوادي الحرة وحصيلة المهرجانات الثقافية، التي تقيمها المدارس بمناسبة المواسم الدينية في آخر العام الدراسي[5].

المبحث الثاني : المناهج وطرق التدريس

لدراسة هذا المبحث نتطرق إلى وجهتين متكاملتين تتمثل في الأقسام التعليمية وبرامجها وطرق تدريسها.

---

1 هاشم، المرجع السابق، ص 63.

2 الإبراهيمي، المرجع نفسه ص 114.

3 مركز البحوث والدراسات، **التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس**، مجلة البيان، الرياض، 1435 هـ، ص 131.

4 خديجة نعيجي، **إسهامات كتلة النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين في تفعيل النشاط السياسي بالجزائر(1927_1938م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ،بإشراف وافية نفطي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2015/2014م.

5 تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 311.

أولا: الأقسام التعليمية وبرامجها

كانت مدارس العلماء في مجملها تقريبا مدارس ابتدائية ويستغرق التعليم في المرحلة الابتدائية ست سنوات وتتكون من ثلاثة أقسام هي :

- ❖ القسم التحضيري ومدته سنتان.
- ❖ القسم الابتدائي ومدته سنتان.
- ❖ القسم المتوسط مدته سنتان.

أما بالنسبة للتعليم العالي فهو متمثل في المعاهد الفرنسية وهي مؤسسة متميزة يشرف عليها مدير تابع لسلطة العسكرية ،لاختيار موظفيها وتلاميذها، من اختصاص المكاتب العربية [1]، وكان محتوى مناهج مدارس جمعية العلماء يقوم على ثلاثة أسس تتمثل في :

أولا: تربية إسلامية متينة منظمة.

ثانيا: ثقافة عربية ابتدائية.

ثالثا: مبادئ أولية للمعارف العلمية.

وهكذا فإن مدارس الجمعية كانت تعلّم في مجموعها التلاميذ الجزائريين، بالإضافة إلى المعارف المختلفة الوطنية الجزائرية والأناشيد المحلية والمحفوظات [2]، ومجموع العلوم التي كانت تُدرس للناشئة في مدارس ومساجد الجمعية كالتفسير ،الحديث، الفقه، الفرائض، العقائد الأدب، المواعظ، التجويد، الأصول، المنطق، النحو، الصرف، البلاغة، المحفوظات المطالعات، دراسة الإنشاء، الحساب، الجغرافيا، التاريخ[3].

لذلك نجد أن ابن باديس ركز في منهجه على أساس علم النفس،لان هذا العلم هو تطبيق لنظريات الشخص التربوي [4]، وبما أن علم النفس له رابط بالتربية فكان سر نجاح دعوتهم وتوفيقهم لإفشال المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر[5].

---

[1] عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة لنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1999م،ص132.

[2] السبتي بن شعبان، **الحركة الوطنية في منطقة قالمة (1920م_1954م)**،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، بإشراف عبد الرحمان سكفالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ جامعة منتوري، قسنطينة2010/2009م ،ص ص 179-180.

[3] زروقة، ، المرجع السابق، ص 183.

[4] طالبي، المرجع السابق، ص 110.

[5] بلحسن ،المرجع السابق،ص80.

ثانيا: طرق التدريس:

وقد وضع ابن باديس برنامج للدراسة تمثلت في:

- ❖ اللغة العربية : ويشترط في تدريسها تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح .
- ❖ الأدب العربي والإنشاء: يعلم حس القراءة وإلقاء الكلام.
- ❖ العقائد: ويجب أن تأخذ مع أدلتها من القرآن الكريم .
- ❖ الفقه: ويجب أن يقتصر على المسائل دون تشعباتها ثم يرتقي إلى ذكر بعض أدلتها.
- ❖ أصول الفقه: مسائل مجردة ثم يرتقي إلى تطبيقها على المسائل الفقهية التي تقدم ملكة النظر والاستدلال[1].
- ❖ التفسير: ويرى ابن باديس عرض التفسير على المتعلم يكون بشرط، أن يشرح الأستاذ الأشياء التي تحتاج إلى شرح مفرادات ومعاني غامضة..
- ❖ الحديث : وطريقة تدريسه هي الطريقة نفسها لتدريس التفسير .
- ❖ التربية الخلقية : يعتمد في تدريسها على آيات وأحاديث وأثار السلف الصالح.
- ❖ التاريخ الإسلامي يدرس باختصار.
- ❖ الحساب
- ❖ الهندسة
- ❖ الفلك
- ❖ مبادئ الطبيعة
- ❖ الجغرافيا بجميع أقسامها[2] .

حيث استطاع بمفرده أولا، وبمساعدة إخوانه من العلماء ثانيا أن يقوم بتربية جيل وتكوين أمة وتبصيرها بشخصيتها[3].

[1] بهى الدين سالم، ، المرجع السابق، ص 101.

[2] بهى الدين المرجع نفسه،ص 101.

[3] طالبي،مرجع سابق،ص120.

وتكفلت لجنة متكونة من ثمانية عشر عضوا وهي المتعلقة بصندوق الطلبة في دخله وخرجه[1]، ولأن ابن باديس كان مربيا بالدرجة الأولى فلم يكتف فقط بتقديم المتغيرات المنهجية بل إنه كان يمارس العمل التربوي نفسه على مستويين:

الأول : مستوى ديني لغوي في المسجد.

الثاني : مستوى مدرسي ممزوج بطبعة دينية لغوية.

وكان يقوم بهذا العمل التربوي والتعليمي لتطوير جيل الصغار و الكبار على النحو التالي:

أولا : جيل الصغار وهو نوعين:

أ -نوع يتابع تعليمه في المدارس الفرنسية ثم يأتي إلى إبن باديس ليتعلم مبادئ اللغة العربية والدين.

ب-أما النوع الثاني فهو لا يذهب إلى المدارس الفرنسية بل يتلقى كل ما يتعلمه على يد ابن باديس.

ثانيا: جيل الكبار: كان يعلمهم ابن باديس القرآن وتفسيره وتجويده والحديث النبوي والفقه والأخلاق واللغة العربية وآدابها والمنطق والرياضيات[2].

كما فتح مناهج خاصة لكل مجال من مجالات التخصص في إعداد مجال المعلمين مثلا اقتراح المواد التالية :

- التوسيع في دراسة العلوم التي يقومون بتدريسها بعد تخرجهم
- دراسة كتب التربية وعلم النفس
- التربية العلمية أو التمرين العلمي على التدريس الفعلي.[3]

فقد كلفت الجمعية لجنة تقوم بالإشراف على القطاع بوضع المناهج وتعيين الكتب المقررة وتصنيف المعلمين إلى درجات، والإشراف على الإمتحانات والمسابقات، لتوظيف المعلمين، وقد بلغ عدد المدارس التابعة للجمعية ما يزيد عن 150 مدرسة ،تضم ما يزيد عن خمسين ألف تلميذ، ((ثم أنشئ معهد إبن باديس لينتقل إليه خريجوا مدارس التربية والتعليم الحائزون على نهاية المرحلة الإبتدائية لنيل شهادة التعليم المتوسط المعادلة بالأهلية

[1] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،المرجع السابق، ص 61.

[2] بن شعبان، المرجع السابق ص 179-180.

[3] بهى الدين سالم، المرجع السابق، ص 106.

بعد أربع سنوات من الدراسة [1])،حيث كان التعليم في مساجد قسنطينة مقتصرا على دروس الوعظ والإرشاد للكبار، وتعليم القرآن لصغار ،وقد أعطى له الشيخ روح جديدة، فمان تعليمه شاملا، كما يلي:

ــ تعليم الصغار من رواد المدارس القرآنية ، بعد خروجهم من الفترة الصباحية، وتستأنف الدراسة بعد الظهيرة.[2]

ففي عهد عبد الحميد ابن باديس تكونت فروع عن مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بما يزيد عن العشرين[3]، فكانت مدرسة الجمعية لصغار التلاميذ، أما الكبار من الشباب فإن تعليمهم يكون في الجامع الأخضر وغيره بصورة منظمة.

ففي عام 1936 م كان الشيخ عبد الحميد إبن باديس يشرف على نحو 300 طالب في الجامع الأخضر تدريسا وقياما على شؤون المبيت والإطعام ونحوه [4]، وسعت الجمعية بالخروج بالتعليم العربي الحر من الطابع التقليدي من حيث الوسائل والمحتوى معا، حيث أستبدل هذا التعليم الوسائل المعتمدة في الكتابة كاللوح وقلم القصب والدواة بوسائل عصرية تتمثل في السبورة و الطبشور والكراريس والأقلام والأدوات والطاولات والكراسي بدل الجلوس على أفرشة بسيطة أو حصائر على الأرض، وأصبحت قاعات التدريس واسعة لها نوافذ توفر لها التهوئة والإضاءة، تماما كما هو الحال في مدارس التعليم الفرنسي [5]، ولم تنجو الجمعية من تعرضها للمضايقات الإستعمارية، فلذلك وردت في معظم الكتابات التاريخية على مثل هذه القرارات الفرنسية الصادرة في حق الجمعية، حيث كان في عام 1933م، صدور منشور ميشال Mishal [6]، الذي فرض مراقبة شديدة على التعليم، الذي تسهر عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[7]، فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على نشاط جمعية

[1] بن شعبان، المرجع السابق ص38.

[2] علي غنابزية، **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية في الجزائر،للحفاظ على الهوية الوطنية**،مطبعة مزوار، الوادي،الجزائر،ج2، 2011،ص57.

3 رابح تركي، المرجع السابق، ص217.

[4] مركز البحوث والدراسات، المرجع السابق، ص 130.

[5] بلحسن، المرجع السابق،ص178.

[6] ميشال كان يشغل مهمة الشؤون الأهلية والكاتب العام لولاية الجزائر وفي سنة 1933 م من شهر فيفري اصدر منشورين يضيقان الخناق على نشاط الجمعية الديني والتعليمي انظر سعد الله الحركة الوطنية المرجع السابق ص ص 21 22

[7] سعد الله ،المرجع السابق،ص21.

العلماء وتأخر ظهور مدارسها إلا في وقت لاحق، وفي سنة 1935م، صدر مرسوم رينيه Rinih[1]، الذي حاولت الإدارة الاستعمارية من خلاله مواجهة أي احتجاج يقوم به الجزائريون ضد الإجراءات الفرنسية المضادة للتعليم[2]، وتسبب هذا القانون في إدخال الطيب العقبي، سجن بربروس سنة 1936م، كما تم غلق المدارس في عمالتي قسنطينة ووهران، وفي 8 مارس 1938 م، أصدرت الحكومة قرار يقضي بتضييق حلقة ذاكرة التعليم العربي الحر ومنع العلماء من التدريس إلا برخصة[3].

وفي ظل رفض تلك القوانين استنجدوا بكل القوة التي تمثل الرأي العام ، لتقف إلى جانبهم في المطالبة بحرية التعليم العربي، والوعظ والإرشاد في المساجد وحرية الصحافة العربية[4]، كما استغل النواب فرصة انعقاد المؤتمر الإسلامي[5] سنة 1936م، لمطالبة الحكومة الحكومة بإلغاء هذه القوانين الاستثنائية، والخاصة بالأهالي وقوانين حرية تدريس اللغة العربية والصحافة الناطقة بالعربية[6] وعلى رأسهم ابن جلول[7].

خلاصة الفصل :

---

1 هو وزير داخليلة فرنسا وجاء على الجزائر صائفة 1935م،،أنظر إلى سعدالله ، الحركة الوطنية،المرجع السابق،ص ص 25،27.

2 مخلوفي جمال،التعليم **العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة(1930_1956 م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،بإشراف الدكتور بوشيخي شيخ،جامعة وهران ،الجزائر قسم التاريخ وعلم الآثار ،2008_2009م،ص103.

3 زغوان، المرجع السابق ص 26.

4 سعد الله ، المرجع السابق،ص 94.

5 المؤتمر الإسلامي الذي تأسس عام 1936 م بدعوة من الشيخ وبمشاركه من السياسيين والعلماء للمطالبة بحقوق الجزائريين وسافر الشيخ بن باديس إلى فرنسا رفقة مجموعه من الشخصيات الإصلاحية للمفاوضة فعندما هدد م الوزير الفرنسي بالمدافع فرد الشيخ بأنه مدافع أقوى بنصر الله انظر ل مركز البحوث والدراسات المرجع السابق ص 51

6 نعيجي، المرجع السابق ،ص102.

7 ابن جلول هو محمد الصالح ابن جلول ولده الاوراس سنة 1894م ، وسط أسرة برجوازيه ، حيث أتم تعليمه الابتدائي بمنطقته ثم أتم تعليمه الثانوي بقسنطينة ، تعليمه الجامعي بالجزائر العاصمة ، حيث نال فيها على شهادة الدكتوراه في الطب ،سنة 1924 ، وكان صوتا لجمعية العلماء في عده مناسبات،إلى أن توفى سنة 1985م ،انظر مذكرة خديجة نعيجي المرجع السابق ،ص44.

لقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خلق تعليم عربي أصيل ، مواجها سياسة الفرنسة السائدة آن ذاك، كما حاولت وضع إستراتجية تنظيمية لنوع البرامج والدروس المقدمة للمتعلم، حيث تضمنت في طياتها، تمديد العمق الديني والحضاري للفرد الجزائري وحثه بالحفاظ عليها، وعلى مقوماته الشخصية.

الفصل الثاني: قانون 8مارس 1938م (الدوافع والأهداف)

المبحث الأول:الظروف والدوافع

المبحث الثاني:المضمون والأهداف

نظرا للانجازات المعتبرة لجمعية العلماء ، في مجال التعليم خلال مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين ميلادي، فأثار ذلك ضغائن الإدارة الفرنسية، التي شنت حرب هوجاء ، بحق التعليم العربي ، وأصحابه ، وهيئاته ، بهدف تغطية سياستها الفاشلة ، وسعيا لتحقيق أهدافها الاستيطانية، فأحدثت واقعا مريرا ، بحق التعليم العربي الحر ، من خلال تزايد وتيرة قوانينها الاستفزازية، وما زاد من فتيلها قانون 8 مارس 1930م.

أولا: الأسباب والدوافع:

من المعلوم أن الأمة الجزائرية ، هبت بعد قرن من الاحتلال لتأخذ قسطها من الحياة العلمية الناضجة وخصوصا من الناحية الدينية ، ولا شك أن هبتها هذه كانت طبيعية منبعثة ، من عوامل مختلفة منها المحلي، العالمي، الذاتي، الجواري، ومما لا ريب فيه أن الاحتفالات المئوية العارمة ، التي أقامتها الحكومة الفرنسية، كانت من دوافع تلك الهبة، فلقد كانت حكومة باريس قد أعطت وعودا و ثناءا كثيرا من أعلى رجال الحكومة في باريس ومن ممثلي الأمة الفرنسية بالبرلمان، وفي خضم ذالك فالحكومة الجزائرية أحسنت توقعاتها، فتأثرت أشد التأثر في نهضتها[1].

كما شهدت الساحة الجزائرية في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين ميلادي حركة فكرية وصحيفة و تعليمية على نطاق الوطن كله.

وبما أن جمعية العلماء، قد احتضنت حركة نشر التعليم العربي، وعملت على تكوين نهضة وطنية واسعة النطاق، لذلك اعتمدت على أساس الرقي المتمثل في التعليم والتهذيب، واهتمت بإعداد الشعب بمنسوب فكري وروحي واجتماعي، خاصة عندما ارتكزت على تأسيس المدارس في أنحاء قطر الوطن المختلفة، حيث بلغت شُعبها في عمالة قسنطينة 12شعبة، أما عمالة وهران مثل ذلك، ولقد تطور هذا العمل خلال سنتين حتى وصل 1938م إلى150شعبة عبر كامل التراب الوطني[2].

---

[1] أثار عبد الحميد بن باديس،**وزارة الشؤون الدينية**،المرجع السابق،ص143.

[2] تركي رابح، **الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، المرجع السابق ،ص375.

وعلى غرار دور الجمعية ساهمت كذلك مدارس حزب الشعب وبعض الزوايا ،التي كان لها دور بارز في مجال التعليم الديني الحر ،فلا تكاد تخلو منه مدينة أو قرية مثلما كان عليه الحال في منطقة زواوة مثلا، إذا كان في القرية الواحدة منها مايفوق12 زاوية في شكل معاهد علمية[1].

لقد كان لفتح عدد كبير من المدارس العربية الحرة ، انطلاقا من الأعوام الثلاثين من القرن العشرين للميلاد، إسهام كبير في بلورة الحركة الثقافية والأدبية والفكرية في الجزائر والحفاظ على العربية فصارت في كل مدينة مدرسة عربية ولو صغيرة تستقبل أطفال الجزائريين لتعليم العربية وتذوق أدبها [2] فكان ابن باديس، يعرض أفكار إصلاحية ويبين أهدافها على أصحاب الزوايا، ويدعوهم للوقوف إلى جانب حركته[3].

لقد اعتنى التيار الإصلاحي بالمدرسة الحرة اعتناء كبير ، ولهذا قال ابن باديس : "أن الحياة تبعث من المدارس فيجب أن تكون المدارس أول ما تهتم بيه وتسعى لتحقيقه ، وكل ما يعرف في تأسيسها فلقد عرف في يقظة الأمة ونهضتها "، ولهذا تفطن الاستعمار لحقيقة المدارس الحرة فنجد إن احد المعمرين يقول: «إن العلماء كانوا يمثلون اكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر ، فشُعب مدارسهم عبارة على خلايا سياسية والإسلام، الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية»[4].

حيث كانت صحافة الجمعية تدعوا كل مرة إلى ضرورة إحداث التغيير والنهوض بالأوضاع الحرجة، التي كان يتخبط بها المجتمع الجزائري ، وحمايته من المكائد الخفية ، ورأت أن السبيل لتحقيق ذلك، لا يكون إلا بالعلم الذي به يرفع شأن الأمم ويقوي سلطانها[5]، وكما جعل حزب الشعب قضية

---

[1] كوثر هاشم،المرجع السابق،ص59.

[2] السعيد بوخاوش، **مقاومة التيار الإصلاحي لسياسة الفرنسية ودوره في الحفاظ على اللغة العربية(1900/1954م)**،دار تفليت للنشر،2013،ص73.

3 ط مبروك،المرجع السابق،ص3.

4 المرجع نفسه،ص3 .

5 كوثر هاشم، المرجع نفسه ،ص60.

نشر التعليم العربي من جملة اهتماماته ، واتخذ منها سلاحا لدفع الحركة الوطنية السياسية في الجزائر إلى الإمام[1].

وقد أدى التعليم العربي دورا فعالا في إفشال الإستراتجية الاستعمارية، أي أن ابن باديس بذل طاقته لتحويل المجتمع الجزائري من حالة الكسل التقليدية التي كانوا عليها [2]، وبذلك أعتبر نشاط العلماء المصلحين ثقافياً، لا سياسياً [3]، ولذلك سعى الاستعمار بكل هيئاته ، لخنق صوت الجمعية وأصوات القائمين عليها ، والقضاء على نشاط اتهم[4]،كما لوحظ تزايد إيجابي للحركة التعليمية، خاصة للطور الابتدائي، بالنسبة لعدد التلاميذ و الأقسام لتلك الفترة[5].

لقد اتبع الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفقير والتجهيل تماشيا مع الأساليب الاستعمارية العامة، التي تهدف إلى تمكين الاستعمار من البقاء مدة أطول، فهو لم يكتفي بسلبه للشعب الجزائري،كل ما يملك من أراضي وأملاك وخيرات،وتركه شبه لاجئ في وطنه، فهو طبق أيضا إتجاها عنصريا،في ميدان الثقافة الأساسية، لمحاربة لغة البلاد،وثقافتها القومية العربية، ونشر اللغة الفرنسية بدلا منها، ومقاومة اللغة العربية والتضييق على أصحابها الراغبين في تعلمها.[6]

---

[1] رابح دبي،**السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها(1830_1962)**، إشراف الطيب بلعربي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم علم النفس وعلوم التربية و الأرطفونيا، جامعة الجزائر،2010/2011، ص179.

[2]Ageron,Op;Cit p925.

[3]Mahfoud kaddache,histoire du nationalisme algerien,qustion nationale et politique algerienne(1919_1951)alger,1993 ,2tomes ,p223.

[4] بوخاوش، المرجع السابق، ص70.

5 Ageron,Op,cit,p924

[6] يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية(1830_1954م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م ، ص ص60،59.

لذلك دعى كل من يعنيهم الأمر إلى ملازمة اليقظة والانتباه، لمراقبة جميع الاجتماعات والمحاضرات، التي تنظمها جمعية العلماء تحت زعامة ابن باديس و العقبي، والعمل على إبعاد المدارس القرآنية من نشاط هذه الجمعية، أي أنها حملة دقيقة ضد العلماء[1].

ونظرا لخوفها من وجود عملاء أجانب ، مما جعلها تصدر قوانين لضطهاد حرية الفكر، والتعليم في الجزائر، وحرية السفر إلى فرنسا، ففي 8 مارس 1938م، صدر عن حكومة شوطان (shotan) قراران يضيقان الخناق بصفة شديدة على المسلمين الجزائريين[2].

وهذه الحقيقة دفعتهم إلى تصنيف مجال التعليم الموجه إلى الجزائريين ، واتخاذ الحيطة والحذر حتى لا يؤدي التعليم إلى نتائج عكسية، وإن كان أحد المسئولين قد قال مرة ، بأن فتح مدرسة بالمنطقة آهلة بالسكان الجزائريين، لا يقل شأنا عن قيمة فرقة من الجيش لتهدئة البلد ، وتفاقم هذا الوضع حينما تحصلت الإدارة الجزائرية من الحكومة الفرنسية على أمر يقضي بتعزيز التشريع الساري المفعول في مجال تعليم الأهالي، بمرسوم 8 مارس 1938م، وهكذا كان تطبيق المرسوم بمثابة ضربة قاسية لعمل الإصلاحيين التعليمي، وتجلت هذه الضربة في توقيف الانتشار للحركة الإصلاحية ، وانحصار التعليم العربي الحر في الجزائر [3]، كما يقول عمار طالبي: « لكن تدريس الشيخ لم يدم طويلا إذ سرعان ما حاك له خصوم الإصلاح ، مؤامرة حقيرة تمثلت في العمل على إقلاعه، ومنعه »،[4]وبذلك لم يتمكنوا من من مواصلة التدريس في المدارس العربية الموجودة سالفا.

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص ص32،33.

[3] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الاجتماعي والديني(1925_1940)**، تر:محمد يحياتم، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2007م، ص415.

[4] عمار طالبي، المرجع السابق، ص10.

ثانيا : أهدافه:

إن الخدمات التعليمة التي قدمها المبشرون إلى أبناء الجزائر ، كانت تهدف إلى تحقيق غاية واحدة: هي تنصير الأطفال الذين تلقنهم المدارس ال فرنسية، بمختلف برامجها التي طبقوها في مدارسهم[1]، و التي سعوا إلى تحقيق ذلك الغرض ، حيث كان هدفهم تكوين الجزائري المسلم، من أجل خدمة مصالحهم، وحتى يسهل مخاطبتهم، لأنهم كانوا يجدون صعوبة في اللغة، [2] وأما الواقع أن الاستعمار بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب اللغة العربية والثقافة العربية ، كما حارب الشخصية الجزائرية حربا لا هو ادة فيها [3]، وكما عمد الفرنسيون إضافة على ذلك إلى محاولة فرنسة المحيط الخارجي، للقضاء على التراب الوطني العربي الإسلامي[4].

يمكن القول بأن الأسس التعليمية التي قامت عليها فرنسا التعليمية منذ بداية احتلالها في عام 1830 م، تتلخص في ثلاث أسس هي أولا الفرنسة ، ثانيا التنصير ، ثالثا الإدماج.

الفرنسة: حيث نعني بسياسة الفرنسة في الجزائر العمل بكل قوة ومكر خبث، على صبغ الجزائر أرضا وشعبا ومدنا ومعالم تاريخية وحضارية بصبغة فرنسية خالصة ، حتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة، في جو محيط فرنسي شامل في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي [5]، والهدف من ذلك القضاء على الشخصية الجزائرية بمقومتها الأساسية ، لإذابتها في المجتمع الأوربي ، أي إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية حتى ينسى الجزائريون لغتهم وثقافتهم القومية ، ويستبدلونها بلغة وثقافة المستعمر ، ويمكن إجمال الخطوات العامة لسياسة الفرنسة فيما يلي:

---

1 حلوش،المرجع السابق،ص94.

2.Ageron,op,cit,p924

3 تركي رابح،**التعليم القومي والشخصية الوطنية**،المرجع السابق،ص93.

4 الشهاب، ع4، ط1، 1925م، ص97.

5 قيطوبي، عويني، زقب،المرجع السابق، ص ص 55،56.

_ محاربة اللغة والثقافة العربية محاربة عنيفة.

_ فرنسة التعليم في جميع مراحله.

_ اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

_ تشويه تاريخ الجزائر والتشكيك في انتمائه العربي الإسلامي ووجوده.

_ إهمال جغرافية الجزائر، وتدريسها، والتركيز على جغرافية فرنسا، مع إبراز عظمتها وقوتها، من خلال تدريس مادة الجغرافيا ، ومحاولة غرس فكرة في أذهان الأطفال الجزائريين مفادها إن الجزائر تعتبر جزء لا يتجزأ من فرنسا [1]، حيث ركزت فرنسا سياستها التعليمية على محو السمات المميزة للشعب الجزائري، لأنهم يؤكدون على نشر اللغة الفرنسية على مستوى المستعمرات، قبل أن يؤكدوا على إيمانه بسياسته، وأنهم يعتقدون حسب رأيهم، أنه لا يوجد في الجزائر هذه الساعة كثرة مهزومة، سوى مائة ألف من الغزاة ، لذلك لن يكون ثمة شعب حقيقي ، وفرنسا أخرى ، إلا بفعل نشر اللغة الفرنسية بشكل واسع ، وتخوفاتها من المسار الرائد للجمعية وأهدافها التي تلوح إلى مدى بعيد، يتمثل في استرجاع السيادة الوطنية، وضمان الشخصية الوطنية[2].

إنها بذله المستعمرون في سبيل إفناء اللغة العربية ، وعلى وجه التحديد ، حرمان هذه اللغة من طليعة مثقفة في جميع مرافق التعليم والإدارات[3]، بالإضافة إلى هذه القرارات، التي تحمل في بنودها منع التعامل باللغة العربية ، كما تلح على الاهتمام باللغة الفرنسية وتهيئة الوسائل لتعليمها في المجتمع الجزائري .

1 بن شوش،المرجع السابق،ص ص 55،56.

2 الخطيب،المرجع السابق،ص119.

3 مركز البحوث والدراسات،المرجع السابق،ص26.

وثانيا القضاء على تراثها العربي الإسلامي ، الذي يهدف إلى ابتلاعها ، ومحو مقومتها العربية الإسلامية[1]، لذلك عملت الإدارة الكولونية، لتعويض عجزها على إجتثاث التعليم الأصلي أو التقليدي من الأرياف والمدن الجزائرية، باستثناء ثلاثة مدارس، في الجزائر العاصمة وتلمسان و قسنطينة، والهدف من ذلك هو تطوير الإطارات الضرورية لخدمة الجهاز القضائي ، والديني الموضوعة طيلة فترة الاحتلال، حيث انخراط في هذا النظام، 172 طالبا سنة 1936م، منهم 50 في قسنطينة 42 في تلمسان و80 في مدينة الجزائر[2].

وبعض العلوم المسموح بها كانت في أدنى درجاتها ، قليل من الحساب والرياضيات وشيء من الفلك، وماعدا ذلك فهي ، غير مستحبة، أو ينظر إليها نظرة ازدراء ، فالسمعي المعرفي موجه بالأساس إلى العلوم الدينية وبدرجة اقل لفنون اللغة العربية ، وتعتبر ثقافة بمثل هذا النوع من المستوى المتردي[3]، وقد بين حاكم مدينة قسنطينة في تقريره له ((بأن الهدف الذي تشهد هاالإدارة هو انتشال الشباب المسلم من الجهل وإعطاؤه بعض المعارف والمبادئ من لغتنا ، التي تمكنه من التكيف من عاد اتنا ونظمنا ، وللوصول إلى هذه الغاية يجب أن نخفض عدد المدارس العربية الحرة، وإقناع الأسر الجزائرية بأن هذه المدارس تقدم تعليما خارقا)).[4]

وفيما يتمثل بموضوع اللغة العربية، وفرنسة الحياة في الجزائر، ونظرا لأهمية العامل الوطني في تكوين الشخصية القومية للجزائريين والمحافظة ، عليها منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر ، لأبناء الجزائريين، سواء في مدارس التعليم الفرنسي الحكومي، أو في المدارس التعليم العربي الحر ، وكانت بدلا من ذلك تدرس لهم جغرافية فرنسا بتفصيل وافٍ ، حتى يعرف الجزائريون كل شيء عن الوطن الفرنسي ولا يعرفوا شيئا عن الوطن الجزائري ، وذلك بقصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائري والتعميق في نفوسهم الولاء إلى وطنهم فرنسا، حتى تسهل عليهم، عملية سلخهم من شخصيتهم وإدماجها

---

[1] قيطوبي،عويني ، زقب، المرجع السابق،ص 23

[2] محمد العربي ولد خليفة،**الاحتلال الاستيطاني لجزائر(1830_1962)**،دار ثالة،الجزائر،2008،ط2،ص36.

[3] جمال قنان،**التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار**،وزارة المجاهدين، 2009م،ط6،ص36.

[4] المدني،المرجع سابق،ص22.

في كيانها العام [1]، وتشويه تاريخها في الإدارات والمحاكم والمعاهد التعليمية ، كما قال أجيرون "كان هدفهم خدمة القطاع التعليم الفلاحي فقط،لخدمة مصالحهم"[2].

وقد أراد منظور المدرسة الاستعمارية من هذه السياسة ضرب الشعب الجزائري ، في مقوماته الأساسية، وإدماجه في الثقافة الفرنسية والديانة المسيحية بطرق سلمية ، فالإدماج الثقافي والفكري ، حسب ما ينظر إليه منظر الاستعمار ، يمثل نظرة استعلاء، واحتقار واستهانة لشعبة [3]، وبذلك لن تقوم الجزائر كجزء يتجزأ من العالم الإسلامي، قائمة في يوم من الأيام، فقد كانت سياسة الاحتلال منذ البداية تخطط لدمج الجزائريين في فرنسا ، عن طريق ربطها سياسيا وإداريا بفرنسا ، وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا، في شخصية القومية الفرنسية ، كان هدفهم من وراء ذلك هو محاربة القرآن الكريم من دخول المجتمع الجزائري ، بقولهم: ((إن المسلمين إن اعتنقوا الدين المسيحي فإنهم سيظهرون لنا الطاعة ويصبحون إخوانا لنا..... ، عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا القيد الشبح لطبائعهم وأخلاقهم))[4].

وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر حتى انهيار مقوم أخر من مقومات الشخصية وهو الإسلام ،واجتثاث الجزائريين من جذورهم الدينية والثقافية[5]، والقضاء على التعليم العربي التقليدي[6] ، ورغم إن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر قامت على ثلاثة ركائز هي الفرنسة والتنصير والإدماج، إلا أنها في التطبيق العلمي لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائر يين، إلا في نطاق محدود جدا [7] ونلاحظ أن عدد الفرنسيين في الأطوار التعليمية الثلاث كان مرتفعا جدا على

---

[1] تركي رابح،مرجع سابق،ص60.

2 Ageron.Op.cit.p924

[3] فرحات عباس ،المرجع سابق،ص34.

[4] عبد القادر حلوش،المرجع سابق،ص68.

[5] ونيسي،المرجع السابق،ص104.

[6] Ali Merad,Op,cit, P83

[7] تركي ،مرجع سابق،ص109.

عكس الجزائريين الذين كان عددهم ضئيل ومتناقص ، وغرض فرنسا من كل هذا تكوين طابور من الوسطاء لخدمة هيمنتها على الجزائر [1].

إن هذه القوانين ، جعلت الإدارة الاستعمارية تحارب اللغة العربية وإطاراتها، ومعلميها، وأحكمت السيطرة على مؤسساتها، ولذلك شكلت تطبيق ما زعمت عليه لسياسة الفرنسة، سواء في المؤسسات و والإدارات أو فرضها في شتى مجالات الحياة العامة، ولقد أصدرت مراسيم تقر بذلك، وهذه القوانين هي مواقف، واضحة من الاستعمار والقضاء على العربية بالجزائر ، وأنه يعتبر منع تدريس اللغة العربية واضطهادها عنصريا، يجب مقاومته ا، حتى لا تتعرب البلاد وتصبح عربية ، وكأنها لم تكن عربية مسلمة وتعتبر اللغة العربية ميتة وأجنبية عن الجزائر العربية والمسلمة، وكأنها بلاد لاتينية تقع في ركن من أركان أوربا.[2]

ثالثا: مضمونه:

ولمعرفة مضمون هذا القانون، تجدر بنا الإشارة إلى أن الاحتلال العسكري للجزائر، كان مصحوبا بغزو ثقافي مركز ، وموجه لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية ، من اجل إيجاد جيل يرى تفوق الحضارة الفرنسية على حياة البداوة التي يعيشها السكان ، ويتطلب منه م نفض غبار الجهل بالإقبال على التعليم الفرنسي، الذي صار مطلبا شعبيا.

وتعتبر هذه السياسة نوعان من الغزو الفكري ، الذي يعمل على توسيع الاستعمار واستمراره ، لان فرنسا بعد أن وجدت صعوبة في الا حتلال بسياسة السيف والمحراث ، رأت انه من الضروري الاعتماد

[1] ولد خليفة،المرجع السابق،ص ص80،81.

[2] تركي رابح، المرجع السابق،ص ص48،49.

على التعليم لان استعمار العقول هو الضمان الوحيد للسيطرة على الجزائر [1]، لذلك كان سعيها للقضاء على الجانب الروحي، للشعب الجزائري بعد تمكنها من احتلاله ماديا.[2]

فقد واصلت فرنسا ضرب وحصار التعليم العربي الإسلامي، بجملة من الإجراءات التي تحرم و تعرقل فتح المدارس بمقتضى عدد من القوانين والقرارات الجائرة[3].

ولذلك اصدر وزير المعارف الفرنسي، قرار 8 مارس 1938م، ينص على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، ويمنع تبعا ذلك تعليمها في المدارس، وهو قرار وزاري أصدره وزير داخلية فرنسا شوطان (Chotane)، و لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم ، سواء كانت حكومية فرنسية ، أو شعبية حرة، كمعاهد التعليم العربي الحر إلا على أساس رخصة من إدارة الاحتلال ، واعتبار اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في الجزائر، واللغة العربية هي الأجنبية [4]، و أدى تطبيق هذا القانون إلى تعطيل عدد كبير من معاهد التعليم العربي ، وتشريد الأطفال و تغريم المعلمين ومعاقبتهم بشتى الأساليب ، وقد وضع شرطين لازمين على هذه الرخصة المذكورة[5].

***الشرط الأول: كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية** ،أي أنه ذو مستوى علمي معين متحصل على شهادة تعليمية.

***الشرط الثاني: صلاحية المحل للتعليم وتوفر الشروط الصحية** : وهذا أن الشرطان باعتبارهما الظاهر أنهما ضروريان لمصلحة التعليم ، ومصلحة التلاميذ في نفس الوقت ، ولكن الاحتلال جعل منها ستارا يخفي به نفسه في تحركاته نحو القضاء على هذا التعليم ، الذي اتسع نطاقه وأصبح ينافس مدارس الاحتلال منافسة قوية[6]، فلما انبعثت الأمة في نهضتها الدينية العلمية بُعِث لها هذا القرار المشئوم وأُخذ

---

3 زغوان،المرجع السابق،ص34.

[2] قنان،المرجع السابق،ص27.

[3] لونيسي، المرجع السابق، ص.19.

[4] علي مراد،المرجع السابق،ص340.

5 غنابزية، دراسات المرجع السابق،ص 32.

[6] تركي رابح ،المرجع سابق،ص145.

في تطبيقه بكل شدة وصرامة ، فلم يبقى أحدا، إلا وفهم القصد من بعث هذا القرار الم تسلط، في هذه الظروف وما سبقها[1].

وما هو إلا معاكسة تعليم الدين، ولغة الدين، بحيث جاء هذا القرار بتمديد منع النوادي الإسلامية، كما كان هذا القرار ضربة قاضية على التعليم الإسلامي، و لغة الإسلام[2].

والدليل على سوء نية الاحتلال ، اتجاه التعليم العربي الحر ، هو أن المعلمون عندما يتقدمون بطلب الحصول على رخصة التعليم، بعد استيفاء كل الشروط المطلوبة، من كفاءة علمية، ولياقة بدنية و توفير الشروط الصحية في المدرسة ، فكانت طلباتهم ترفض في أغلب الأحيان ، بدون إبداء الأسباب لذلك، فإذا باشروا التعليم ، حتى لا يتعطل الأطفال عن التعليم ، فإن الاحتلال عندئذ يرفع في وجوههم سلاح هذا القانون، فيغلق المدرسة أو النادي أو الجامع، ويقود المعلمين إلى المحاكم بتهمة التعليم بدون رخصة[3].

كما كانت معظم المدارس الوطنية ، تغلق بعد وقت قليل من فتحها، ويسجن معلموها ويشرد تلامذتها، وتحاكم الجمعية التي أنشأتها ، وكل ذلك بهدف واحد ، هو عرقلة التعليم العربي ، وتخويف المنظمات القائمة عليه، ومن هنا توالت عملة تعطيل المدارس العربية الحرة سواء نهائيا أو لأجل قد لا يطول أو يقصر.[4]

وفي مسار تطبيقاته على سبيل المثال فقد أغلقت مدرسة دار الحديث [5] بتلمسان، واستهدفت النوادي الإصلاحية المتابعة قضائيا من قبل، وفق قرار 13 يناير 1938م، القاضي باشتراط الترخيص

---

[1] آثار عبد الحميد ابن باديس،المرجع السابق،ص145.

[2] آثار عبد الحميد ابن باديس ،المرجع السابق،ص145.

[3] تركي رابح،المرجع السابق،ص ص 70،71.

[4] مصطفى شريك ، **اللغة العربية، من المحنة الكولونالية إلى إشراقة الثورة التحريرية**،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ،2007م،ص474.

5 دار الحديث بتلمسان تأسست عام 1937 وهي من اكبر المدارس التابعة للجمعية في الغرب الجزائري انظر لأسيا بلحسن المرجع السابق ص97.

للجمعيات والنوادي القانونية، لتقديم المشروبات الغير كحولية لروادها ، ودعم مرسوم 8 مارس 1938م ذالك بغية القضاء عليها، وتعطيل كل صحيفة تصدرها جمعية العلماء باللغة العربية، سلفا وثانيهما باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ومنع تعليمها [1]، وكتبت البصائر تشكو من سوء نية الإدارة بإصدار قانون 8 مارس 1938 م، فقالت: « وحالة الغفلة التي كان يعيشها الشعب في مقابل ذالك » فأخذت جهات من الوطن الجزائري تنظم الكتاتيب المعبرة عن ها بالمدارس تعبيرا نقره على سبيل التفاؤل وفي وجهة وجدنا من الحكومة معاملة أخرى، فأصبحت لا تسمح لنا إلا برخصة ، ولا تمنح الرخصة لطالبها ولو انتظر السنين [2]، وتعطيل كثير من المعلمين في سبيل القيام بو اجبهم نحو الدين والقر آن ولغة الدين والقرآن، و ملاحقتهم بطائل من التهديد والوعيد[3].

وعلى هذا الأساس أجمعت معظم الكتابات التاريخية على أن قانون 8 مارس 1938م، كان موجها نحو التعليم الجزائري العربي الحر وحده، ولم يشمل التعليم الفرنسي الذي تقوم به الهيئات الفرنسية في الجزائر، كما لم يشمل التعليم الذي يقوم بتشييد المعابد اليهودية ، التي يمارسها فئة معينة من المعمرين، بل كانت لهم الحرية المطلقة، في ممارسة الشعائر لكلتا الديانتين، وإعطائهم كامل الصلاحية لنشاطاتهم، وكذلك لهم الحق في فتح المدارس والمعابد والكنائس، في أي جهة من جهات القطر الجزائري، دون أي معارضة أو عرقلة من الاحتلال.[4]

---

[1] بشير بلاح، مواقف **الحركة الوطنية الإصلاحية الجزائرية،من الثقافة الفرنسية،(1925_1940)** هدية من وزارة الثقافة،عالم المعرفة،الجزائر ،دس،ص25.

[2] تركي رابح، المرجع السابق،ص271 .

[3] محمد الميلي،المرجع السابق،ص150.

[4] تركي رابح، المرجع السابق،ص ص 171،170.

خلاصة الفصل:

كانت أهداف فرنسا من خلال قانون 8مارس 1938 م، تحقيق ثلاثيتها المشهورة (الفرنسة، التنصير ، الإدماج)، فلُعتبر هذا القانون المتسلط بحق التعليم والمتعلم العربي في الجزائر، ضد أبسط حقوق الإنسان، و خاصة بهجمتها الشرسة المتمثلة في الغلق والسجن لكل من له صلة بالتعليم، الذي كان في ممارسته، من حقوقهم الشخصية و واجبلقهم الوطنية وشعائرهم الدينية وحركاتهم السلمية.

الفصل الثالث:تداعيات القانون على التعليم العربي الحر

المبحث الأول:التداعيات على النخبة السياسية

المبحث الثاني:التداعيات على حركية التعليم

المبحث الثالث:مواقف الحركة الوطنية

كان وقع القانون ، كالصاعقة على المجتمع الجزائري عامة، وعلى أعضاء جمعية العلماء المسلمين خاصة ، فأحدث الكثير من الانفعالات والتفاعلات ، على مستوى الحركة السياسية والحركة التعليمية والحركة الوطنية.

المبحث الأول: تداعياته على النخبة السياسية:

لدراسة تداعيات قانون 08 مارس 1938م، على النخبة السياسية حيث نجد هذا التوجه يطرح من وجهات نظر مختلفة رغم محدودية العلاقة المباشرة بين التعليم والسياسة.

أولا: حسب وجهة نظر أبو القاسم سعد الله، عن مثل هذه القرارات الفرنسية التي تضيق الخناق بصفة شديدة عن المسلمين الجزائريين قائلا: « ولم تكد الحرب الثانية تبدأ، حتى صدر قانون جديد بتاريخ 28 أغسطس سنة 1939م، يعطي للإدارة الفرنسية بالجزائر الحق في مراقبة جميع المطبوعات، كما يمنحها حق وقف أو منع جميع المطبوعات، وأصبح على كل من يخرج جريدة أو نحوها، أو يحصل على رخصة، ولكن إذا كانت الحرب تبرر مثل هذه الإجراءات فما مبررات ميشال، ورينه، وشوطان؟، وما مبررات حل النجم سنة 1937م، واضطهاد قادته وتشريدهم؟، وما مبررات التدخل في شؤون المؤتمر الإسلامي، باتهام زعمائه بالقتل وتشويه سمعة العلماء والانتصار لخصوم الإصلاح؟ وأضاف قائلا: « إن التساؤلات عن مبررات فرنسا خلال الثلاثينات قد تطول...، فقد كانت هناك أحداث كبيرة تؤثر على سير الحركة الوطنية الجزائرية، ومع ذلك كان الفرنسيون يرفضون الحركة الوطنية الجزائرية، ويتجاهلون مطالبهما، و يلجأون باستمرار إلى القمع والتهديد والقوة...، وكل هذه العوامل الداخلية والخارجية جعلت مواقف ومشاريع فرنسا في الجزائر تبدو خارج الزمن الذي وضعت فيه. »[1].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية(1930_1945)**،المرجع السابق،ص83.

لقد انتهى عقد الثلاثينات والتوتر على أشده، بين الجزائريين والفرنسيين، فالحكومة الفرنسية المتعددة كانت منشغلة بالمشاكل الداخلية والقضايا الدولية، ولم توجد حكومة واحدة قوية استطاعت أن تنفذ إلى صميم المشكل الجزائري [1]، ومع ذلك كانت الأحزاب السياسية الفرنسية وتنظيماتها، تلقي بتأثيراتها على نفسية العلماء الإصلاحيين.[2]

ثانيا: حدوث التقارب بين جمعية العلماء والأحزاب السياسية الأخرى:

ونظرا لحدوث تقارب أكثر بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحزب الشعب لتلقيهم إجراءات تعسفية من السلطة الفرنسية في نفس الوقت، خصوصا إثر حل فرنسا لحزب الشعب وتجميد نشاط الجمعية، وسجن أغلب أنصارها وهذا ما جعل حزب الشعب يظهر تعاطفه للعلماء حتى أواخر 1939م[3]، وسعيا من كامل أعضاء الجمعية لتكثيف جهودها، بغية الوقوف في وجه المستعمر وإفشال قوانينه التعسفية، فعملت الجمعية على إحداث التقارب السياسي مع ابن جلول خاصة عندما شاركوا في انتخابات أكتوبر 1938م، ولكون أن العلماء قد ناصروا النواب في الانتخابات، التي لو لا هم ما فازوا.

وكما تجدر الإشارة، إلى أن الإبراهيمي فصّل في صفة هذا التقارب، وأنه لم يكن من أجل هذه الانتخابات، وكان يحثهم بقوة من أجل تكوين جبهة موحدة ضد السلطات الاستعمارية[4]، لكن الأمر آل عكس ذلك فيما بعد نظرا لتعنت أبن جلول و لمخالفتهم في الكثير من توجهاتهم.

---

[1] سعد الله، المرجع السابق،ص55.

2 Merad,op,cit,p120

3 سعدالله ، المرجع السابق ص200.

4 عبد الكريم بو صفصاف، **جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931،1945م)**،دار بهاء للنشر والتوزيع، الجزائر ،2013م،ص ص259_260.

ثالثا: واقع التعليم في المشهد السياسي:

حسب رأي بعض الكتاب، أن نشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس(السياسي)، تمثل في ما وصفه في صحافته بأن هذه العداوة التي تكنها فرنسا للجزائر، وتدابيرها الكيدية ضد الوطن وإصدارها من حكومتها، هذه القرارات الوزارية، بعقوبات على التعليم، وأكد بأن الأمـة فهمت من المقصود بذلك[1] ، (أي أنها مساومة سياسية فرنسية ضد الإسلام والعربية).

كما نشط التعليم في هذه الفترة نشاطا سياسيا، وذلك بقيامه بالتعبئة السياسية ، بالرغم أن الغالبية العظمى من الشيوخ والطلبة لم تكن تملك إستراتجية واضحة المعالم في ميدان العمل السياسي، حيث لم يقتصر سوى على بعض الحركات الـفردية، كالانــخراط في صفوف الشعب[2]، سعيا منهم لتشكيل تجمع سياسي داعم للتعليم العربي.

وفي ظل تداعيات هذا القانون على النخبة السياسية، و تحركاتها خاصة أن فرنسا تريد مساندتها، وكسب أكثر تأييد لها ضد الألمان، فحدث اجتماع للمجلس الإداري للجمعية واقترح الشيخ الطيب العقبي، إرسال برقية مساندة لفرنسا، في حربها مع الحلفاء ضد ألمانيا حتى لا تتعرض فرنسا لنشاط الجمعية وتمنعها من ممارسة أعمالها، ولكن الشيخ بن باديس اقترح على التصويت أعضاء المجلس ليحدد الموقف الشخصي والخاص لكل واحد منهم فكانت النسبة 12 إلى 4 ضد إرسال برقية مساندة، واحتفاظ الإمام بصوته ليعلن أمامهم: « لن يرسل البرقية وإن فرنسا لا تستطيع أن تنال من روح المصلحين، وإن كانت تستطيع أن تزج بهم في السجون وأن تقتلهم إن شاءت...أقرر الاحتفاظ بالصمت ولو قطعوا رأسي ».

ثم قال الشيخ للعربي التبسي: «أما أنا والله لو قال لي الاستعمار قل لا إله إلا الله محمد رسول الله ما قلتها ولن أؤيد فرنسا مها كان الأمر وماذا تستطيع فرنسا أن تعمله، إن لي

1 مطبقاتي،المرجع سابق،ص100.

2 مخلوفي ،المرجع السابق،ص103.

حياتين، حياة مادية وحياة أدبية روحية...، فلن تستطيع القضاء على عقيدتنا ، وسمعتنا وشرفنا فتحشرنا في زمرة المتملقين»[1]، وهذا فعلا ما يبديه الشيخ ضد المستعمر عملا بقوله تعالى:

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[2]، كما فسر أبو القاسم سعد الله هذا الموقف بتوتر العلاقة بين الإدارة الفرنسية وجمعية العلماء المسلمين في نهاية الثلاثينيات[3] ونظرا لهذا الجو المشحون بين الطرفين، أجج ذلك مشاعر الشيخ ابن باديس، حيث كان من يرى أنه سيحدث ثورة استقلال لولا وفاته[4].

كما أن السلطات الفرنسية، كان سعيها الحثيث من وراء ذلك القانون تجميد بعض طلبة المدارس القرآنية و الزوايا في صفوفها خلال مواجهاتها أحداث الحرب العالمية الثانية فاكتست بذلك خبرة سياسية وعسكرية[5].

و من جهة أخرى، وبدافع التوجه السياسي إثر تصعيدات هذا القانون على التعليم ومؤسساته قامت بعض الشخصيات السياسية بزيارة بعض المؤسسات التعليمية في مختلف المناطق، مثل زيارة زعماء من صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية خلال النصف الثاني من الأربعينيات لبعض مؤسسات الشلف.[6]

---

1 زروقة،المرجع سابق،ص ص153،152.

2 سورة الفرقان،الآية:52.

3 سعد الله،المرجع السابق، ص94.

4 Mouhamed Harbi, **La Guree Commencee En Algerie Edition Complex Berexeles 1989**,p185,186.

5 مخلوفي ،المرجع السابق،ص103.

6المرجع نفسه،ص104.

كما أن السلطات الاستعمارية، زادت من مخططاتها التعسفية لمحاربة التعليم لمواصلة ولسير مرسوم شوطان، فأقرت حسب أعمال شارل ديغول [1] (Charles de Gaulle) والجنرال كاترو[2] (Katro) باسم لجنة فرنسا الحرة، مخطط فيار[3]ـ Viard [4].

ومن ناحية أخرى، حصل إرتفاع صوت المنظمات الوطنية ، التي كانت تقوم بهذا النوع من التعليم، واعتراف الكتاب الفرنسيين بما قامت به الإدارة الفرنسية وسياستها [5]، كما قامت فرنسا بإرسال لجنة إصلاحات ثانية، في ديسمبر 1943م، بهدف دراسة الوضع خاصة في ظل الظروف السائدة[6] ، حيث أقرو بالحملة المعادية للتعليم العربي في الجزائر.

رغم سعي السلطات الفرنسية بشكل مرير لجعل المجتمع الجزائري فريسة سهلة المنال ،إلا أنها باءت بالفشل، ولم تستطيع السيطرة على جهود الإصلاحيين وغيرهم من تيارات الحركة الوطنية ، الذين كانوا حجرة عثر في طريقها وبذلك حفاظهم على مقوماتها الشخصية [7]، كما يؤكد ذلك حالت توخي الحيطة والحذر من طرف الشيخ ابن باديس، من خلال توقيف بعض

---

1 شارل ديغول هو رجل الدولة الفرنسية في الجزائر1890_1970، أسس الحكومة المؤقتة في الجزائر،ثم في باريس1944_1946، وتقيد رئاسة الجمهورية الفرنسية 1959_1969، انظر
mouhamed harbi **Le Guerree commencee En Algreri**,**edition**,**complex** .**Bruxelles1989**,p185,186.

2 كاترو من مواليد السعيدة ألحقه الجنرال ديغول بعد توليه سياسة فرنسا الحرة،انظر سعد الله الحركة الوطنية ،ج3،المرجع السابق،ص114

3 مشروع فيار هو مشروع إجراء استخباراتي يقوم بتسليط الحراسة على معلمي التعليم العربي الحر ،صدر في أوت 1943، وتضمن عدة جزئيات أقرتها السياسة الفرنسية،للتفصيل أكثر أنظر لمخلوفي جمال،المرجع السابق،ص118.

4 مخلوفي جمال،المرجع السابق،ص118.

5 المرجع نفسه،ص121.

6 Mouhamed Harbi,op,cit,p186.

7 كوثر ،هاشم، المرجع السابق،ص63.

صحفه عن الصدور ، حتى لا تبقى أداة في يد الإدارة الاستعمارية خلال الحرب العالمية الثانية.[1]

وفي مشهد سياسي حر لنتائج تأثير هذا القانون كان الحظ الأوفر لتلاميذ حزب الشعب التمهيد التدريجي للكفاح المسلح والثورة التحريرية [2]، وتلقين مدارس الجمعية رسمياً، بعد الحرب العالمية الثانية، لدروس وطنية وخطب وأناشيد يرددونها باستمرار.[3]

منها الأنشودة التي يرددونها تلاميذ المدارس وبروح وطنية عالية، تلك التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس:

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ *** وَإلىَ العُروبةِ يَنتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أصْلِهِ *** أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ
أَوْ رَامَ إدمَاجًا لَـهُ *** رَامَ المُحَال من الطَّلَبْ
يَانَشءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا *** وَبِكَ الصَّباحُ قَدِ اقْتَربْ
خُذْ لِلحَياةِ سِلاَحَها *** وَخُضِ الخْطُوبَ وَلاَ تَهبْ
وَاْرفعْ مَنارَ الْعَدْلِ وَالإ *** حْسانِ وَاصْدُمْ مَن غَصَبْ
وَاقلَعْ جُذورَ الخَـائنينَ *** فَمنْهُم كُلُّ الْعَطَبْ
وَأَذِقْ نفُوسَ الظَّـالمِينَ *** سُمًّا يُمْزَج بالرَّهَبْ
وَاهْزُزْ نفوسَ الجَامِدينَ *** فَرُبَّمَا حَيّ الْخَشَبْ
مَنْ كَان يَبْغي وَدَّنَا *** فَعَلَى الْكَرَامَـةِ وَالرّحبْ
أوْ كَـانَ يَبْغي ذُلَّنا *** فَلَهُ المَهَانَةُ والحَرَبْ

[1] الخطيب ،المرجع السابق،ص112.
2 يوسف زغوان،المرجع السابق،ص27.
3 مخلوفي ،المرجع السابق ،ص103.

هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا *** بالنُّورِ خُطَّ وَبِاللَّهَبْ

حتَّى يَعودَ لقَومنَا *** من مَجِدِهم مَا قَدْ ذَهَبْ

هَذا لكُمْ عَهْدِي بِهِ *** حَتَّى أوَسَّدَ في التُّرَبْ

فـــــــإذَا هَلَكـــــتُ فَصَيْحتي *** تَحــــــيَا الجَــــــزائرُ وَ الْعرَب[1]

فكان الطلبة يتغنون بقصائد من هذا القبيل وإن كان البعض منهم لا يفهم معناها إلا أنها كانت ترسخ في نفوسهم الروح الوطنية والشعور بالانتماء في الجزائر وفي صورة لبعض ما كتب الطلبة في دفاترهم نختار هذه القصيدة ذات العمق العربي الحر:

اعصـــفي يـــا رياح   واقـــصفي يـــا رعود

وأثخني يــــا جراح   و أحـــــدقي يـــا قيود

نحــــن قوم أبـــات   لــــيس فيـــنا جبان

قد ســـــئمنا الحياة   فــي الســـعادة والــهوان

لا نمــــــل الكفاح   لا نـــمل الجــــهاد

ادخــــلونا السجـون   جــــرعونا المـــــنون

ليــــس منا خؤون   يـــــنثني أو يــــهون

إلى أن يصل:

نحن نفدي الجزائر بالنفوس والدماء[2]

[1] عبد الرحمان شيبان،من وثائق جمعية العلماء الجزائرين المسلمين،دار المعرفة،الجزائر،د ن،ص63.

[2] مخلوفي جمال،مرجع سابق،ص105.

المبحث الثاني: التداعيات على حركية التعليم:

حيث كانت هذه التداعيات على وجهتين مختلفتين، سلبية وإيجابية، حيث السلبية تمثلت في حالة الظلم المسلط على المعلم والتعليم، أما الإيجابية فتمثلت في روح التحدي والصمود لمواجهة هذا القانون .

أولا: عرقلة التعليم والمعلمين:

لقد كان تطبيق هذا المرسوم بمثابة ضربة قاسية لعمل الإصلاحيين في المجال المدرسي وتجلت هذه الضربة ، في توقيف الانتشار الثقافي للحركة الإصلاحية، وانحصار التعليم العربي الحر، في الجزائر و كان كل من له صلة بأي وسيلة معرفية عربية يستهدف، فترتب عن هذا القانون غلق بعض مدارس الجمعية.

حيث يصف لنا ابن باديس وضع المدارس التعليمية بعد صدور هذا القرار فيقول : « فمدرسة دار الحديث مازالت مغلقة، ومثلها مدرسة القليعة والمعلمون في بجاية وغيرها مازالوا يعادون بالتغريم ويساقون إلى المحاكم كمجرمين، وطلبات الرخص مازالت تقابل بالرفض أو السكوت »[1].

كما أغلقت الإدارة أيضا مدرسة دار الحرية في تلمسان، التي كان يديرها البشير الإبراهيمي وحاولت إيقاف كل المعلمين، تحت طائلة التهديد والملاحقة القضائية[2].

كذلك نتج عن هذه السياسية الاضطهادية الاستعمارية حالة ركود واضطراب في نشاط جمعية العلماء الثقافي وتوقف هياكلها التربوية على العمل، مما جعل نشاطها يضيع هادئا كالجداول الصغير، لا هادرا كالنهر الكبير، كوصف أحد الكتاب لذلك.[3]

---

[1] عبد الحميد بن باديس، **البصائر، يا الله للإسلام والعربية في الجزائر**،العدد 107، 8أفريل 1938م،ص ص 143،144.

[2] دُبي، المرجع السابق،ص194.

[3] المرجع نفسه،ص197.

ومثالا آخر على ذلك، ما وقع في وادي سوف، عندما تحدى عبد العزيز الشريف [1] هذه السياسة وفتح مدرسة إصلاحية بالزاوية القادرية بالوادي، على أساس أن الزوايا منذ القدم تعمل بدون رخصة، فزج به في السجن هو ورفقائه.[2]

وكان هذا القانون الجائر، في حق التعليم أو التعلم، أو اكتساب وسيلة لتعليم اللغة العربية أو فتح مدرسة لها، أذ أصبحت نسبة الأميين من الجزائريين 92،2 % بين من تتراوح أعمارهم من 5 إلى 18 سنة، و90% بين من تجاوزت أعمارهم 80 عام وتشرد أكثر من مليون ونصف مليون طفل جزائري في الشوارع ، وهم في سن الدراسة، لأنهم لم يجدوا المكان ولا من ينفق عليهم،[3] وتصاعدت حملات إغلاق المكاتب والمساجد في وجوه المعلمين، وتعطيل النوادي الحرة، لذلك واكبت الصحافة الإصلاحية الحدث، وعلى رأسها الشهاب والبصائر، بالحالة التي أصبح عليها التعليم، إذ كان الجهل يفتك بأبناء الجزائر واستولى الخمول على النفوس، وأخلدت للراحة و ما زاد الأمر سوء تقصير أصحاب المال في الإنفاق على هذا الجانب، إذا كانوا ينفقون على التعليم نصف ما ينفقون على التدخين، وفي هذا الوقت ذاته دعت ضرورة تطوير طرق التعليم، التي كانت تقتصر على الحفظ والاستظهار لمتون اللغة والدين، فأصبحت اللغة العربية أداة ضمان لفهم مسائل دينية فهما سطحيا.[4]

---

[1] عبد العزيز الشريف هو أبن الشيخ محمد الهاشمي ولد بزاوية والده بقرية البياضة في واد سوف سنة 1898م،وكان مشهورا بذكائه وفصاحته،لهذا تم الإجماع على تواليه الزاوية القادرية في سوف،وفي ظل متابعة السلطات الفرنسية له ألقت القبض عليه في 18أفريل 1938م،هو ولرفقائه،للتفصيل أكثر أنظر ل مذكرة نعيمة عباسي،نورة ديدي،سعاد غريسي،المرجع السابق،ص ص 31،32 .

[2] زغوان،المرجع سابق،ص15.

[3] زروقة،المرجع السابق،ص29.

[4] هاشم،المرجع السابق،ص62.

وتعددت الكتابات التاريخية الشاهدة على حركة التعليم بعد صدور قانون(شوطان)، حيث يقول أحمد توفيق المدني: «التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في كل مراحل التعليم»[1].

كما ذكر يحي بوعزيز في كتاباته الشاهدة على ما وقع له سنة 1938م حين قال:

« مازلت أذكر حتى اليوم حين داهمت الشرطة الاستعمارية منزلنا في مدينة برج بوعريريج عام 1938م، للبحث عن السبورة التي اشتراها والدي، ليعلمنا بها بعض قواعد لغتنا العربية، وكان أحد الأذناب قد وشي بنا إلى الشرطة، فأخذت تفتش بجنون عن تلك السبورة ولكن الوالد كان محتاطا للأمر فأخفاها قبل خروجه في مكان يعجز التعرف عليه ».[2]

وفي تعليق للشيخ الإبراهيمي على مثل هذه الإجراءات يقول: « بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم ونحن نقدر أنها لتعمم...، وأن الأحكام ستكون بالغرامة والسجن، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة...، ونتلقى الأحكام والقوانين بنفوس مطمئنة، وحسبنا شرفا أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا، وحسبنا فخرا أن تكون التهمة فتح مدرسة بدون رخصة».[3]

ولقد دأب الاستعمار على تجريد العمال أجورهم، لأن أولادهم مازالوا يترددون على المدارس العربية ، وكان يعتبر التحدث بالعربية (إهانة لكرامة فرنسا)، وكان كل من له صلة بأي وسيلة عربية يستهدف بصفة كبيرة بتسليط المراقبة والجواسيس، وعقابه بالسجن ليقضي عاما أو عامين أو ما يزيد.[4]

[1] المدني،المرجع السابق،ص138.

[2] بوعزيز ، المرجع السابق،ص62.

[3] رابح تركي،المرجع السابق،ص175.

[4] بوعزيز ، ،المرجع السابق،ص62.

كما أن الشيخ الإبراهيمي صور لنا الوضع و كل ما آل إليه التعليم في صياغة واحدة بقوله: «هذا ما جعلنا نمقتها ونكفر، بها فما هي والله رخصة تطلب فتتال، وإنما هي غصة يصعب ابتلاعها، وقصة يمل سماعها ، و رهصة لا تحتمل أوجاعها».[1]

ثانيا: صنع التحدي والصمود:

وما كان لهذا القرار إلا إصرار جمعية العلماء المسلمين، مواصلة جهودهم التربوية، مع مقاومة الشعب الجزائري لهذه الحملة الاستعمارية صوب التعليم العربي الحر، وتمثلت هذه المقاومة في:

1_ إنشاء فئات من المدارس الحرة يحولها الشعب بواسطة التبرعات والاشتراكات وتوجيه أبناء المجتمع نحو التعليم العربي، وتغذيتهم بالشعائر الدينية، وتعليمهم القراءة والكتابة باللغة العربية، فزاد الإقبال على هذه المؤسسات وتكوّن المشروع التربوي الحقيقي الأصيل، ومقابل ذلك الإحجام عن المدارس الرسمية التي تعلم اللغة الفرنسية.

2_ يقظة الشعور الواقعي والواعي، الذي يكشف السياسة الواهية التي تتبعها الإدارة.

3_ الوقوف اليد في اليد، بجعل المستعمر يشعر ويقتنع بعجزه عن تحقيق مشاريعه.

4_ معاقبة كل من يتواطأ مع الاحتلال من رجال فكر مزيفين ، و رجال دين مظللين.

5_ إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية لتفعيل النشاط التعليمي، وتشجيع دور المساجد والمؤسسات التعليمية لتفعيل النشاط التعليمي رغم العراقيل والإجراءات التعسفية.

6_ الالتفاف حول العلماء وتنشيط حلقات العلم، والتشجيع على تقوية صفوف التعليم بالعربية.

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي،**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ج3، 1997م،ص235.

7_ عودة ثقة الجزائريين بأنفسهم وإدراكهم بأن القضية قضية أمة مسلوبة الحقوق، ومن ثم بعث روح التحدي والإرادة.[1]

ولوحظ أنه كلما إشتدت ضغوطات الإدارة الاستعمارية على نشـــاطات الجمعية في الـــمجال الثقافي، إزداد إقبال التلاميذ الجزائريين على المدارس العربية، فقد بلغ عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية، في مدرسة التربية والتعليم في مدينة قسنطينة عام 1939م ، حوالي 800 تلميذ وتلميذة، وناهز عدد طلاب المرحلة الثانوية فيها 70طالب[2]، وذلك لأن المجتمع الجزائري تصدى لهذا التعنت الاستعماري بروح عالية من الصمود، حيث كان كلما أغلقت الإدارة مدرسة عربية قام الجزائريون بفتح مدرسة أخرى، أو عدد من المدارس بدلها.[3]

كما قام المعلمون بواجبهم وبذل جهودهم للدفاع عن لغة الجزائر وقرآنها ودينها حتى أستصدروا من القانون قانون الثبات.[4]

كما لاقى هذا الالتفاف الشعبي، تجاوبا في نفوس أبناء المجتمع، والعمل على تقوية صفوف التعليم العربي، وإحداث نقلة ثقافية، بلغة السكان الأصلية وعقيدته المناضلة، فحملت هيئات التعليم العربي الحر مشعل الثقافة العربية، وتمكنت من أن تكوّن جيلا من المدافعين عنها وعن اللغة العربية، والذين عملوا على نشر هذا التعليم بعد إتمام دراستهم [5]، وبناءا على إحصائيات 1938م، فعدد مدارس الجمعية في قسنطينة 85 ، مدرسة تضم 4047 تلميذ مسجل، ويسيرها معلمون مصلحون أما في عمالة الجزائر، فبلغ عدد مدارسها 1938م إلى 68

---

[1] شريك،المرجع السابق،ص ص486_487.

[2] دبي،المرجع السابق،،ص195.

[3] هاشم،المرجع السابق،ص63.

[4] المرِلي، المرجع السابق، ص150.

[5] مخلوفي ،المرجع السابق،ص.101

مدرسة تضم 9063 تلميذ، حيث خطت الجمعية الخطوات الاجتهادية بنشاطاتها، فأسست أعظم معهد ثانوي، هو معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947م[1].

وفي ظل هذا التصدي والثبات وقع الاستعمار عاجزا في تحقيق أهدافه لأن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه، حيث قال في محكم تنزيله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[2].

واستمر نشر الدين رغم أنفهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾[3].

لذلك إعترف علماء الاجتماع الفرنسيون بفشل سياسة فرنسا وأهدافها المسطرة في الجزائر فكانت عكس المتوقع[4]، ولم تكتفي جمعية العلماء على الحث الدائم للشعب الجزائري بالتوكل على الهك وحده ، ومداومة النشاط السلمي[5].

[1] بوصفصاف،المرجع السابق،ص ص 137،139.

2 سورة الحجر،الآية 9.

3 سورة البقرة،الاية120.

4 تركي رابح، **عبد الحميد ابن باديس، رائد الإصلاح والتربية**، المرجع السابق،ص48.

5 الشهاب،ج1، مج 13، ع14 مارس 1937م،ص1.

المبحث الثالث: مواقف الحركة الوطنية لمواجهة تداعيات القانون:

أُعتبر قرار 8 مارس 1938 م، الذي يراد به فرض الفرنسية على الجزائر العربية، حربا لا هوادة فيها، وبذلك قيام الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وجمعية العلماء بقيادته، وقامت الأمة كلها لمحاربته، وكتب الشيخ ابن باديس سلسلة مقالات في مجلة الشهاب، وجريدة البصائر فإذا نلخص هذه المقالات في إيطار موقف جمعية العلماء لمسلمين:

أولا: موقف جمعية العلماء المسلمين:

وفق ما ورد في جريدة البصائر التي كتبت عن هذه الحادثة، وعن هذا الظلم المسلط على العربية ورجالها في الجزائر، حيث كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في عددها الصادر بتاريخ 8 أفريل 1938م[1]، «وقد فهمنا _والله_ ما يراد بنا وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي _بعون الله_ في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا على ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا»[2].

ومن جملة كتابته التي وجه الخطاب فيها إلى الشعب الجزائري عندما كتب بعد شهر من صدور هذا القانون يقول: « إن أعداء الأمة الجزائرية _وأعداء فرنسا أيضا_ يجمعون أمرهم ويدبرون كيدهم ، فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات على التعليم ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها وليقضوا عليها، القضاء على مادة حياتها »، وما كانت هذه إلا صرخة عارمة من أعماق الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الذي لم يهنئ له بال ويهدئ له غيظ إلا وأضاف قائلا:

«لقد فهمت الأمة من المعلمين المقصودين، أنهم معلمو القرآن والإسلام، ولغة القرآن والإسلام لأنهم الذين عرفت الأمة كلها ما يلقون من معارضة ومناهضة، وما يجدون من

[1] غنابزية، المرجع السابق،ص35

[2] البصائر، ع8،107 أفريل1938م،ص143.

مقاومة ومحاكمة بينما غيرهم من معلمي اللغات والأديان، والمروجين للنصرانية في السهول والصحاري والجبال، بين أبناء وبنات الإسلام، في أمن وأمان بل في تأييد بالقوة والمال»[1].

كما وصف الشيخ بن باديس هذا القانون بالسم الذي أصاب الجزائر في روحها وصميم فؤدها وفي مهد حياتها، [2] بالعقاب الرهيب وتناوله في مقال بعنوان « بالله الإسلام والعربية في الجزائر، لكل من يعمل بدون رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن وإننا نعلن للخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزما، وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء ، وإننا على يقين من أن العاقبة وإن طال البلاء لنا، وإن النصر سيكون حليفنا»[3].

و كتب الشيخ بن باديس أيضا تلك الفترة في جريدة الصراط السوي مقالا تحت عنوان ((بعد عشرين سنة في التعليم تسأل هل عندك رخصة؟))[4].

كما يروي الشيخ عبد الرحمان شيبان، أنه في يوم من الأيام، حضر صلاة المغرب في جامع بجاية مع الشيخ بن باديس وبعد الصلاة وقف بن باديس، يخطب بحماسة تحرك الصفوف الجامدة، متحديا للقرار الاستعماري الفرنسي، قائلا: «إن في هذا القرار قتلا لنا لأنه يمس ديننا ولغتنا فعلى الجزائريين أن يحتجوا ضده، فمن لم يفعل فهو خائن لدينه ووطنه سواء كان عالما أو متعلما،أم إماما أم مفتيا»[5].

وموالاة لرأي الشيخ الإبراهيمي، الذي شمل موقفه لمختلف القرارات فيقول: « وما نجهر به من تنديد بالحكومة ومعاملتها والتشهير بقوانينها وقراراتها، وفيما نصارحها به، أننا لا نرمي بهذه القوانين، لأنها مفروضة علينا فرضا في أمر يتعلق بنا وحدنا، و هويتنا ولغتنا، ولا

[1] مطبقاتي، المرجع السابق،ص100،101.
[2] بلاح،المرجع سابق،ص225
[3] البصائر ،ع107،8أفريل 1938م، ص143.
[4] تركي رابح ،المرجع السابق، ،ص175.
[5] مركز البحوث والدراسات، التجربة الدعوية لشيخ عبد الحميد ابن باديس،المرجع السابق،ص120.

نحترمها لأنها باطل والباطل لا يحترم، ولا نقر بها لأنها حرب على ديننا ولغتنا ولا نحتملها ولو أدت إلى إغلاق جميع المدارس دفعة واحدة، وإننا لا نرضى إلا بالحرية الصريحة »[1].

وبخصوص التعليم العربي الحر طالب الإبراهيمي بضرورة فتح باب التعليم الجزائريين في المدارس العربية ، مع الاكتفاء فقط بالرقابة القانونية.[2]

وفي إطار المواجهة مع الإدارة، طالبت الجمعية كل معلم مكتب قرآني أو مدرسة طلب الرخصة من الإدارة، كما دعت كل جماعة تريد تأسيس جمعية أو فتح مدرسة لتعليم الإسلام والعربية أن يكتبوها لترشيدهم إلى الوجهات القانونية اللازمة، وحركت الجمعية حملتها المناهضة لقرار 08 مارس المشئوم الرأي العام الجزائري بكل فئاته [3]، وقيامها على الاتصال بجمعيات وفئات جزائرية مختلفة، وذلك من خلال مكانة ابن باديس في جمعية قدماء المحاربين وفروعها بالعملات الثلاث طالبا منهم أن يجتمعوا للإحتجاج على هذا القرار، ولا يكون الإحتجاج بالصيغة التي تختارها الجمعية بل يطلب منهم أن يعلموه بموعد إجتماعهم ليخبرهم بالكيفية التي يقع بها الإحتجاج.[4]

---

[1] الإبراهيمي،المصدر السابق،ص224.

[2] المصدر نفسه،ص224.

[3] دبي،المرجع السابق،ص194.

[4] مطبقاتي،المرجع السابق،ص101.

ثانيا: ردود فعل أخرى:

تمثلت في مختلف توجهات الحركة الوطنية الجزائرية، التي ضغطت على السلطات الفرنسية في عدة مناسبات، مطالبة بفتح المدارس الحرة مادامت الحكومة عاجزة عن توفير هذه المدارس لأبناء البلاد.[1]

وبذلك توالت الشكاوي والاحتجاجات من تصرفات المستعمر، ويرفع الأمر إلى حكومة باريس، مطالبين بالتدخل لوقف الاعتداءات الفرنسية على معاهد التعليم العربي الحر [2]، ودفع ذلك الأمر النواب الجزائريين ومجلس النيابة المالية (وهي أعلى نيابة في الوطن) ، بالمطالبة بحرية تعليم الدين ولغة الدين، وقدموا تقريرا في جلسة 15 جوان 1938 م، يشتمل على لزوم إعطاء رخص التعليم الإسلامي إلى الجميع ، مع إحداث المراقبة على المدارس العربية الحرة[3].

وما زاد من هذا الضغط على الإدارة الفرنسية، حيث نجد بعض من درس بالمدارس الفرنسية تحول من مناصر لتلك السياسة إلى منحل عنها، ومناد بحقوق الجزائريين، ومن هؤلاء فرحات عباس.[4]

حيث طالب النواب المسلمين، وعلى رأسهم فرحات عباس بإلغاء هذا القانون و أصروا على حرية التعليم الديني، كما أوصى فرحات عباس على الإقبال على العلم والعمل، بوصفهما مصدر لحرية الشعوب، ((فبقدر إيماننا بالعمل نؤمن بالعلم، فشعب دون علماء وتقنين ومتمدرسين هو شعب بلا روح ولا أساس))[5].

---

1 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،،المرجع السابق،ج3،ص241.

2 تركي رابح،المرجع السابق،ص180.

3 دبي،المرجع السابق،ص ص 195،194.

4 زغوان،المرجع السابق،ص16.

5 نعيجي،المرجع سابق،ص118.

أما فيما يخص اهتمام النواب واستعدادهم حول هذا القانون، نشير إلى الدكتور البشير رئيس وحدة النواب بالعمالة الجزائرية، وقد ذهب إلى الدكتور ابن جلول في مكتبه منذ قدومه من باريس، وقد كان سافر إليها ليذكر الحكومة العليا بوعودها ويعرفها بالحالة التعسفية الحقيقية للأمة نحو مطالبها، وما يحاط بها من قلق من جراء السكوت عنها، وما بها من سخط وانزعاج، ما ترى وتسمع من أناس لا يمثلونها، يقولون عنها خلاف ما يعملون، حيث عرفته بالاجتماع وقراره وأبلغته ما يلقاه التعليم والمعلمين من المحن والبلاء، وما تتطلبه الأمة من قيام المشروع في ذلك، وما يفرضه عليه دينه، وذكر أن الدوائر العليا مسرورة جدا بموقف الأمة الجزائرية مع فرنسا في الساعات العصيبة، وأن رجل الوزارة الداخلية وعدوا بالنظر في القضية الجزائرية التي هي موقع اهتمام [1] ،كما أن فرحات عباس كانت نظرته لهذه الظروف أن يقدم لفرنسا شيء مقابل الحصول عليه للجزائر، خاصة بالتراجع على قوانينها التعسفية.[2]

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن رؤوس الطرقية، بأنهم يؤيدون قانون 8 مارس، وهذا ما عبر عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال ساخط عن هذا الموقف المتخاذل معهم وذلك عند قوله: « فقد نشرت لهم الصحافة الاستعمارية نص القرارين اللذين قدموهما للحكومة باسم اجتماعهم، فإذا في ذلك النص تأييدهم لقانون 8 مارس ودفاعهم عنه ، وزعمهم أنه لا يمس الدين، بسوء كثيرا، لذلك كتبوا بأسلوب وعرفناه من قبل من الإدارة في السنة الماضية ، وفرغنا من الرد عليه ، ولكن أراد الكائدون للإسلام ولغة الإسلام هذه السنة أن يضربوا الإسلام ولغة الإسلام بيد من ينتسبون إليها، ويتكلمون في زعمهم الكاذب باسم أكثر من ثلاثة ملايين فكان لهم من رؤوس الطرقية خيبهم الله ما أرادوا».

[1] البصائر، اهتمام النواب و استعدادهم،ع 162، 21أفريل 1939، ص173.

2 Mahfoud Kaddashe,op,cit,p260.

في حين كانت تشهد الأمة كلها المدارس المعطلة، والتلاميذ المشردين والرخص المشتركة والمسترجعة، و المحاكمة الموالية، إثر هذا القانون المشئوم الذي طبق على الجزائر ثم يقول رؤوس الطرقية: أنه لا يمس الدين بسوء.[1]

خلاصة الفصل:

بقدر ما كان واقعه مرا على الواقع السياسي والثقافي بالجزائر ، بقدر ما صنع نوع من الاتحاد والتضامن والتكافل بين الشخصيات الوطنية والمواطنين ، والوقوف جنبا إلى جنب ضد العدو الفرنسي المتلاعب بثقافتهم العربية ، مما بعث فيهم روح العزيمة والتحدي لرفع راية الإسلام والعروبة عالية .

[1] البصائر،عدد162،المصدر السابق،ص181.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع بحثنا المتضمن التعليم العربي الحر وعلاقته بقانون 8
مارس 1938م، بين التداعيات والتوجهات، نستخلص ما يلي:

كان الظهور الفعلي للتعليم العربي الحر على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها سنة 1931م، وبإعتبار قائدها الشرعي الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الذي كانت شخصيته الفذة المشبعة بالعلم والثقافة العربية الإسلامية، التي مكنته من إرساء قواعد الشخصية الجزائرية للفرد الجزائري.

كما كانت البدايات الأولى للشيخ ابن باديس، في حركته التعليمية جد صعبة ، تحدها كثيرا من المشاكل والعراقيل، خاصة نقص الإمكانيات المادية، لتجهيز أماكن التدريس، لكنه رغم ذلك حاول تخطي تلك الصعوبات، مجاهدا بالنفس والنفيس، فأحدث انطلاقة باهرة من المسجد الأخضر بقسنطينة، حيث كانت منظومته التعليمية تشتمل على فرعين من التعليم المسجدي والتعليم المكتبي، منتهجا في ذلك أسلوب الوعظ والإرشاد، وإلقاء و الخطب والدروس في المساجد، وجعل هذا التعليم بالتوازي بين الصغار والكبار، والبنين والبنات، ولم يهمل جانب المرأة التي تمثل أساس المجتمع، و إعتنى بالمواد المدرسة، حيث تمكن من وضعها في طابعها العربي المحض.

وبناءا على هذا الانجاز المتزايد لتعليم الشيخ ابن باديس و رفقائه، سجلت الحركة التعليمية تطورا ملحوظا، فيما يخص الأقسام الابتدائية، وعدد الطلاب المتمدرسين خاصة خلال الفترة الممتدة من 1931 إلى 1938م، وبذلك شكلوا حجرة عثر في طريق الاستعمار الفرنسي الذي وّضع في مرتبة السياسة الفرنسية الفاشلة.

وعند إحساس الإدارة الفرنسية بفشلها أمام القائمين بالتعليم العربي في الجزائر، ثارت ثائرتها، وقذفت بسمومها على المعلمين و المتعلمين، لزعزعة هذا الإنجاز، وبعثت بوابل من القوانين و القرارات الجائرة، التي توالت خلال سنوات 1933م ، 1935م ، 1938 م

مستهدفين التعليم العربي الحر بالدرجة الأولى، لأنه منافس للتعليم الفرنسي، وكان هدفهم الأكبر، هدم مقومات الشخصية الجزائرية، وعملوا على تشويه المعلم العربي الحضاري الجزائري، وقاموا بسياسة التجهيل و التهميش لتحقيق ثلاثينتهم المنشودة القائمة على الفرنسية والتنصير والإدماج.

لذلك كان وقع قانون 8 مارس 1938م، كالصاعقة على أصحاب التعليم العربي في الجزائر، وما يمثله من هيئات ومؤسسات، لأن الإدارة الفرنسية قامت بوضع شروط و إلتزامات مجحفة، في حق التعلّم والتعليم العربي و وجوب رخصة لذلك، فأحدث هذا القانون ضجة عارمة، وحملات استنكارية الرافضة له جملة وتفصيلا.

فكانت تداعيات هذا القانون على مستوى الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي، وأخذ بطابعين مختلفين من ناحية سلبية وناحية إيجابية، أما السلبية فتمثلت في الاضطهاد والسجن، والتغريم، كما تبلور من الناحية الايجابية، في خلق تضامن وطني مع أعضاء جمعية العلماء، وصنعهم لوحدة وطنية مشكلة قوة دافعة، للوقوف ضد هذا العدو وعدم الرضوخ له، ولو كلفهم ذلك الجهاد لنيل شرف الاستشهاد.

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

_ **القرآن الكريم برواية ورش.**

أولا المصادر:

1) الكتب العربية:

1. الإبراهيمي أحمد طالب : **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ج1، 1997م.

2. (_____)،**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،ج3، 1997م.

3.أجيرن شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصر** ، تر:عيسى عصفور ،منشورات عويدات، بيروت_باريس،ط1، 1982م.

4.بوعزيز يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية(1830_1954م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م.

5.المدني أحمد توفيق، **هذه الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية،(دط)،2001م.

6.الميلي محمد ، **ابن باديس وعروبة الجزائر** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط 2، 1980م.

7.شيبان عبد الرحمان : **من وثائق جمعية العلماء الجزائريين المسلمين** ،دار المعرفة،الجزائر،(د ت).

8. فرحات عباس :**ليل الاستعمار** ، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة المحمدية،(دط) ، قسنطينة.

2) الكتب الأجنبية:

1. Charle – Robert ageron les algerien muslman et la France (1871_1919) ,paris 2tom ,1968.

2. Harbi Mouhamed La Guree Commencee En Algeri edition Complex Berexeles 1989.

ثانيا: المراجع

1) الكتب العربية

1.ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،الفترة مابين(1920_1930)**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(دط)،1984م.

2. بلاح بشير، **مواقف الحركة الوطنية الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية(1925_1940)**،هدية من وزارة الثقافة عالم المعرفة،الجزائر.

3.بن رحال ز وبير، **الإمام عبد الحميد إبن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)**، دار الهدى، الجزائر.

4.بو صفصاف عبد الكريم ،**جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931،1945م)**،دار بهاء للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م.

5.بوخاوش سعيد ، **مقاومة التيار الإصلاحي لسياسة الفرنسية ودوره في الحفاظ على اللغة العربية(1900/1954 م)**،دار تفليت للنشر،2013

6.تركي رابح : **الشيخ عبد الحميد بن باديس،رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط1984،4م.

7. (ـــــــ): **التعليم القومي والشخصية الوطنية، (1931-1956)**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م .

8.حلوش عبد القادر ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، دار الأمة لنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1999م.

9. الخطيب أحمد، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وأثرها الإصلاحي في الجزائر**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(دط)،1999م.

10. زروقة عبد الرشيد، **جهاد عبد الحميد إبن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر(1931-1940)**، ط 1 ،دار الشهاب، لبنان، 1999،

11. سالم محمد بهى الدين، **ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير** ، ط1، دار الشروق،1999م،

12. **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ، دار المعرفة، صدر بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.

13.سعد الله أبو القاسم ، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930_1945)**،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ط4 ،ج3، 1992

14. (ـــــــ):**تاريخ الجزائر الثقافي** ،(**1830_1954**) ،دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 ،ج3 ،1998م .

15. شريك مصطفى : **اللغة العربية من محنة الكولونالية إلى إشراقة الثورة الجزائرية**،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر،2007م.

16.طالبي عمار :**عبد الحميد ابن باديس** ، **حياته وآثاره** ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1983م.

17.العسلي بسام : **عبد الحميد إبن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية** ، دار النفائس للنشر والتوزيع 1983.

18.غنابزية علي : **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية في الجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية** ، مطبعة مزوار الوادي،الجزائر،،ج2، 2012م.

19.قنان جمال : **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار** ،وزارة المجاهدين، ط6، 2006م.

20.لونيسي رابح وآخرون : **تاريخ الجزائر المعاصر** ،دار المعرفة،الجزائر،ج 1، 2001م.

21.مراد علي : **الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائرية،بحث التاريخ الاجتماع والديني مابين(1925_1940)**، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة،الجزائر،ط 2، 2007م .

22.مركز البحوث والدراسات :**التجربة الدعوية لشيخ عبد الحميد ابن باديس** ،مجلة البيان،الرياض،1435هـ.

23.مطبقاني مازن: **عبد الحميد إبن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي** ، ط1، دار القلم، دمشق، 1992،

24. ولد خليفة محمد العربي : **الاحتلال الاستيطاني لجزائر(1830_1962)**،دار ثالة،الجزائر،ط2، 2008م.

2) الكتب الأجنبية

1.Mahfoud kaddache,histoire du nationalisme algerien,qustion nationale et politique algerienne(1919_1951)alger,1993 ,2tomes ,p223.

2. Merad Ali,Le Refomisme Musulman en Algene De 1925 a 1940, Essai d histoir religiense et sociale Mouton 2 co I mprimerie Firmin_ Didot_Paris 1967.

ثالثا: الصحف والدوريات:

1.أسيا بلحسن رحوي : وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي،ع 7،ديسمبر 2011م.

2. ط _ مبروك، الإستراتيجية التعليمية والتربوية عند ابن باديس،ع20،يونيو ،2012م.
3.البصائر ،ع107،8 أفريل1938م.
4.البصائر ،ع 162، 21أفريل 1939
5.الشهاب،ع4، ط1، م1925.

6.الشهاب،ج1،مج1937،13م.

رابعا: المذكرات و الرسائل الجامعية:

1. بن شعبان السبتي: **الحركة الوطنية في منطقة قالمة (1920م_1954م)**،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الرحمان سكفالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ جامعة منتوري، قسنطينة2010/2009م.

2. بن شوش محمد : **التعليم في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي(1830م_1870م)**،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،بإشراف الدكتور بن يوسف تلمساني،جامعة يوسف بن خدة،الجزائر ،قسم التاريخ،2008/2007م.

3 . دبي رابح ، **السياسية التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها(1830_1962)**، إشراف الطيب بالعربي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم علم النفس وعلوم التربية و الأرطفونيا،جامعة الجزائر ،2011/2010.

4. زغوان يوسف، **التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931- 1962)، من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،في التاريخ الحديث والمعاصر ،بإشراف علي غنابزية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،شعبة التاريخ،2016/2015م.

5.عباسي نعيمة، ديدي نورة، غريسي سعاد، **التعليم في الجزائر في مواجهة الإدارة الاستعمارية(1930-1962)**، إشراف عثمان زقب، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس، كلية العلوم الاجتماعية ولإنسانية، قسم العلوم الإنسانية2013/2014

6. قيطوبي بهاء، عوين خديجة، زغب عبلة، **الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر فترة مابين الحربين(1919-1939)**،إشراف محمد السعيد عقيب، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس تاريخ،معهد العلوم الاجتماعية ولإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الوادي2013/2014.

7. لعويد مصطفى لمين، **الدور الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء الجزائريين بواد سوف و وادي ريغ** ، ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، بإشراف موسى بن موسى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ2015/2016 م.

8. مخلوفي جمال، **التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة(1930_1956م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، فالتاريخ الحديث والمعاصر،بإشراف الدكتور بوشيخي شيخ،جامعة وهران ،الجزائر قسم التاريخ وعلم الآثار،2008/2009م،

9.نعيجي خديجة ، **إسهامات كتلة النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين في تفعيل النشاط السياسي بالجزائر(1927_1938م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر،بإشراف وافية نفطي،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2014/2015م.

10.هاشم كوثر، **الحياة الاجتماعية في الجزائر من حلال عملية الشهاب الجزائرية(1927-1931)**، إشراف جمال بلفردي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الوادي2013/2014.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

1/http://www.oulamadz.org/wp-content/uploads/2016/08 .

2 http://i41.servimg.com/u/f41/11/21/19/15/70110.jpg.

3./https://i.skyrock.net/8858/12988858/pics/1401905147_small.jpg

فهرس الموضوعات